



تعريب: دائرة المعارف الهندية

"الهندية"

الرامايانا

ملحمة الإله راما

مراجعة وتقديم

محمد سعيد الطريحي


منتدى مكتبة الاسكندرية www.alexandra.ahlamontada.com

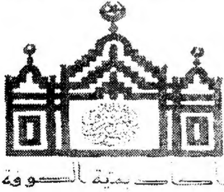
الراما يانا «الهندية»

ملحمة الإله راما

اسم الكتاب: الرامايان «الهندية»
اسم المترجم: دائرة المعارف الهندية
مراجعة وتقديم: د. محمد سعيد الطريحي

١٠٠٠/٢٠٠٧م - ١٤٢٧هـ

KUFA ACADEMY
Postbus1113\3260AC Oud
Beijerland.Hollan



Email:www.almawsem.net
SALTOURAIHI@YAHOO.COM

دار نينوى
للدراسات والنشر والتوزيع

سورية - دمشق - ص ب ٤٦٥٠
تلفاكس: ٥١٣٦٥٢٦ ١١ ٩٦٣ ٠٠+
٠٠٩٦٣ ١١ ٥١٤١٦٠٥ +
موبايل: ٠٠٩٦٣٩٣٣٤٤٩٧٣٤
E-mail:ninawa@scs-net.org

العمليات الفنية: التنضيد والإخراج والطباعة
وتصميم الغلاف في مطبعة دار نينوى
القسم الفني دمشق - سوريا
القياس ١٤,٥ ♦ ٢١,٥
عدد الصفحات: ٢١٢
لوحة الغلاف: لوحة من الرامايانا

الـرامـايـانـا

ملحمة الإله راما

اسم المترجم:

دائرة المعارف الهندية

مراجعة وتقديم:

محمد سعيد الطريحي

Author: Mohammad Said Al- Tourihia

Original Title : The encyclopaedia of India

First Edition
2007- 1427

ISBN 90-809737-34

الرامايانا

Ramayana

تعتبر (الرامايانا) أشهر الملاحم الهندية بعد (المهابهاراتا **atarmahabha**).

وقد شبهت الأخيرة بالألياذة، بينما شُبّهت (الرامايانا) بالأوديسة إذ أنها تشبهها من حيث أنها تصف الأهوال والمخاطرات التي مرّ بها أحد أمراء الهند في أثناء رحلته بعد نفيه من موطنه في أثناء بحثه بعد ذلك عن زوجته التي اختطفها بعض الأعداء، وتؤلف هاتان الملحمتان الجانب الأكبر من الأدب الملحمي عند الهندوس القدامى، كما أنهما معاً تعطيان صورة واضحة ومتكاملة عن الثقافة والحضارة الهندوسية وعن الحياة السياسية والاجتماعية بل أيضاً عن الدين والفكر في الهند القديمة.

ظهرت (الرامايانا) في مملكة كوسالا **kosala** القديمة التي تقع في الشمال الشرقي لنهر الكَانج والتي تقابل المنطقة المعروفة الآن باسم اوده **Oudh**، وثمة ما يشير في الملحمة ذاتها إلى أن الرامايانا نشأت في الإقليم الذي كان عاصمة آيودهيا **Ayodhya**

التي كانت هي المقر الملكي للسلالة المعروفة باسم «ايكشفاكو» وكانت تتقاسم النفوذ في الشمال الشرقي من الهند مع أسرة الفيديها **Vedeha** الذين كانوا يقيمون في شمال بيهار **Bihar** وهما من الشعوب التي عرفت بدرجة عالية من الثقافة والحكمة، والشجاعة والإقدام، وكلها صفات كانت تتمثل بوجه خاص في الأسرتين الحاكمتين، كما كان رجال الدين في كلا الشعبين مشهورين بحب العلم والمعرفة. وذلك فضلا عن وجود (المدارس) التي طبقت شهرتها العلمية كل أنحاء الهند بحيث أصبحت هاتان المملكتان مركزين هامين من مراكز العلم والثقافة التي تجذب إليها الدارسين من المناطق النائية. وربما كان من أهم ما يميز هاتين المملكتين الاهتمام بجمع أناشيد الفيدا الشهيرة ودراستها وتفسيرها. ولا تزال أبحاث رجال الدين هناك حول أسرار الروح وطبيعة وماهية «الروح الواحدة الكلية» التي هي مبعث الخلق محفوظةً في اليوبانيشاد القديمة **Upanishads**، وتؤلف جزءاً هاماً من التراث القديم الذي يحافظ الهنود عليه ويعتزون به. ولكن هذا العصر الذهبي للمملكتين كان قد زال تماماً وأصبح مجرد ذكرى حين بدأ الشاعر يصوغ ملحمته التي تتغنى في الأصل بهذه الأمجاد. فقد ارتبطت تلك الحقبة في خيال الشاعر بل وفي خيال الناس أيضا بالجمال والحق والخير. وبذلك فإن الملك دازاراثا **Dasa-ratha** ملك الكوزالا يظهر في الملحمة على أنه حاكم مثالي يعمل جهده لخير شعبه الوفي الأمين، كما يظهر راما بطل

الملحمة والابن الأكبر للملك دازاراثا وولي عهده أميراً نموذجياً يجمع بين الثقافة والشجاعة والإيمان بواجبه والتمسك بكل ما هو حق وخير. وبالمثل وعلى الجانب الآخر يظهر الملك جاناكا **Janaka** ملك الفيديها في صورة الملك القديس، كما تظهر سيتا ابنة الملك وبطلة الملحمة مثالاً للمرأة النقية والزوجية الوفية. وعلى ذلك فإن الجو العام الذي يحيط بالملحمة كلها هو طابع الاحترام والتقديس والإجلال للماضي والإعجاب للماضي والإعجاب بكل ما هو حق وإبراز كل ما من شأنه أن يرتفع ويسمو بشخصيته الإنسان وينأى بها عن الصغائر والدنايا. ولا تزال جوانب المحبة والحنو التي تسيطر على الملحمة جوانب أثيرة لدى الهندوس حتى الآن.

والرامايانا، وشأنها في ذلك شأن المهابهاراتا، تكونت عبر قرون طويلة وإن كانت الصياغة الأخيرة للملحمة هي من عمل شخص واحد أو (عقل) واحد، أي أن لها مؤلفاً معروفاً هو الشاعر ڤالميكي **Valmiki**، وذلك على عكس المهابهاراتا التي لا يُعرف لها مؤلف معين. ويعتبر ڤاليمكي على هذا الأساس أول شاعر ملحمي في تاريخ الهند، كما أن الملحمة ذاتها كانت أفضل مثال يمكن أن يحاكيه ويقلده الشعراء اللاحقون الذين جاءوا بعد ذلك، إذ كانت مصدراً هاماً لغيرها من الأعمال الشعرية العظيمة مثل بعض الملاحم الأقل شأناً وشهرة كالملحمة المعروفة باسم عائلة داغو أو الراغوفامسا **Raghuvamsa** التي وضعها الشاعر كاليداس **Kalidas**، وذلك إلى جانب بعض الأعمال الشعرية الدرامية الأخرى التي نهجت

نهج الرامايانا في الأسلوب وطريقة المعالجة. وعلى أي حال فإن الرامايانا والمهابهاراتا تعتبران من (التراث القومي) أو حتى (الممتلكات القومية) وذلك طوال أكثر من ألفي سنة. وكان للرامايانا بالذات تأثير قوي على الإنتاج الأدبي والفكر الديني والاجتماعي في المجتمع الهندوسي.

أما عن الزمن الذي أُلّفت فيه هذه الملحمة فيرى بعض الباحثين أنها ألفت باللغة السنسكريتية في القرن الخامس قبل الميلاد، أي بعد مرور ما يقرب من ألف سنة على حدوثها، لأنها تصور شطراً من الحياة الاجتماعية والسياسية لهذه الفترة. ويرى الأستاذ (W.F. Thomas) أنها ألفت في القرن الثاني قبل الميلاد تقريباً، إذ كانت السنسكريتية في ذلك الحين هي اللغة الأدبية والرسمية. وقد ظهرت هذه اللغة بعد قدوم الآريين إلى الهند. وهي في الحقيقة فرع من لغات أوروبا القديمة التي نشأت منها اليونانية ثم الانجليزية والألمانية وما إلى ذلك. ولذلك تسمى السنسكريتية «اللغة الهندية الآرية» (Indo-European).

كانت السنسكريتية في بادئ الأمر لهجة أوروبية تشبه اليونانية القديمة، تكلم بها الآريون الذين نزحوا إلى الهند، وافتتحوا ولاية البنجاب وقطنوها في أول الفتح. وقد مَرَّت هذه اللغة مع الاختلاط باللغة الأصلية في الهند بعدة تغيرات كما سجلتها عدة كتب دينية هندوكية مثل «رج فيدا ويوبانيشاد». ثم زادت رقعة الفتوحات واتسع سلطان الآريين الذي امتد إلى عدة مناطق هندية شرقاً وغرباً وشمالاً

وجنوباً، واحتلوا أربع ولايات كبرى وهي «البنجاب وأتاربراديش وبيهار ومدهيا براديش». وهذه الولايات الأربع لا تزال حتى اليوم معقل العنصر الآري ومهد الحضارة الآرية. وقد أخذت هذه اللغة في التطور في نحو ألف سنة. وفي خلال هذه المدة وضعت لها قواعد النحو والصرف والعروض، وألفت بها الكتب العلمية والأدبية.

وفي القرن الرابع قبل الميلاد اتسمت هذه اللغة بثلاث خصائص بارزة قسمتها إلى ثلاثة فروع أو شعب: أولاها اللغة الكلاسيكية التي تكلم بها رجال الدين والكهنة. وقد توارثها هؤلاء كابراً عن كابر فاحتفظوا بقالبها وصياغتها في حب وتقدير لا حد لهما، فأصبحت هذه اللغة كبنيان مرصوص بعد تأليف «بانى» **(Paibni)** - النحو الشهير - قواعد نحوية مربوطة لها وذلك في القرن الرابع قبل الميلاد. وثانيها لغة الشعراء والأدباء. وبهذه اللغة ألفت الأساطير الهندية الشهيرة مثل «الرامايانا» و«المهابهارتا». وثالثها لغة عامة المتعلمين والمثقفين السهلة التي ألفت بها معظم أجزاء كتب «الفيدا» كما ألفت بها أيضاً كتب العلوم والفنون مثل السياسة والقانون والأدب والفن[1].

لقد حاول الناس، بطبيعة الحال، إيجاد أساس تاريخي للرامايانا وذهب البعض إلى القول بأن هذه الملحمة تعكس صورة كفاح الآريين من أجل امتلاك القسم الجنوبي من هندستان، بل حتى قيل

---

(1) The Legacy of India p. 40-41.

أنها تمثل كفاح البراهمة ضد البوذيين في (سيلان) وهذا أضعف الإيمان.

ويقول (جدوك) «أن قصة راما لها أهميتها الخاصة لأنها تصور لنا التطور الميثولوجي» ومهما كان الأمر فإن فهمنا لـ (راما) على أنه تجسيد (للفشنو) لا يمكن اعتباره جزءاً من هذا التطور، لأن هذا التجسيد لا يظهر إلا في الأجزاء الأخيرة في الملحمة، صحيح أن الإلهين الأخيرين (فيشنا) و(شيفا) حاولا الصمود بثبات في الملحمتين القديمتين (مهابهاراتا) و(رامايانا) ولكنهما لم ينفذا إلى ما خلف النطاق الخارجي لهاتين الملحمتين.

ويعتقد (جدوك) أيضاً، أن مساواة (سيتا) بآلهة الزرع التي تحمل نفس الاسم، ترجع إلى أصول متأخرة، أي أن ذلك يعتبر من قبيل الإضافات الفولكلورية التي حدثت مؤخراً، غير أنني لا أتفق معه في هذا الرأي، فقبل كل شيء، أن ما يدعو إلى الدهشة حقاً هو أن البطلة وآلهة الزرع تحملان نفس الاسم على سبيل الصدفة، أضف إلى ذلك أن اسماً يدل على معنى كلمة (حقل) يليق أن يطلق على آلهة الزرع فكيف حصلت زوجة (راما) أي (سيتا) على هذا الاسم؟

غالباً ما حاول العلماء الوقوف على الأساس المثولوجي لهذه القصيدة وكذلك حاولوا إيجاد البراهين الكثيرة لإثبات كل شيء أرادوا إيضاحاً وتفسيراً له، وإن ادعاء العالم الألماني (جاكوبي)، استناداً على التقاليد الهندية، بأن (سيتا) باعتبارها آلهة ينبغي أن تكون زوجة (اندرا)واستنتاجه من هذا الزعم بأن (راما) زوج (سيتا)

يعتبر في مصاف اندرا، إن ادعاءً كهذا، يجعلني ملزماً بالتحفظ إزاءه، ذلك لأن الملحمة تصور لنا البطل على أنه حقيقة واقعية وليس تجسيداً لـ (اندرا)، بل على العكس من ذلك من ذلك فإنه يشابه (ياذيشثيرا) الذي يماثل بدوره (دراما) تماثلاً مضبوطاً، ويعتبر نموذجاً ملكياً وليس عضواً في مجلس المحاربين الذين هم على غرار (اندرا).

يقول الدكتور جان دي فري: ولئن أردت تبيان الأساس الميثولوجي لهذه القصيدة، فإني أرى من زواج (راما) من (سيتا) نموذجاً مطابقاً لزواج الملك الارلندي من (مدب)، أضف إلى ذلك أن في مقدورنا أن نقف على حقيقة الزواج ذلك الزواج الطقسي بين ملك السماء وآلهة الأرض، ذلك الزواج الذي ينبغي أن يحتفل به الملك في الحقل وفق تقاليد شعبية ويستمر الاحتفال في موسم الربيع لمدة طويلة، حيث نجد الفلاح وزوجته يطرح أحدهما الآخر أرضاً، وهذا أسلوب طريف من أساليب المضاجعة الجنسية التي كانت تحدث فيما مضى في الحقول المزروعة.

وإذا اعتبرنا (راما) على أنه يمثل نصف إلهي السلطة الملكية (وهما ميثرا ـ فارونا)، إذا اعتبرنا (راما) ممثلاً لـ (ميثرا) فيجب أن نتوقع بأن يكون (بهاراتا) ممثلاً للنصف الثاني أي (فارونا)، ولكن هل يعتبر (بهاراتا) في الأصل هو المغتصب الذي أنزل أخاه من العرش؟

بيد أن الملحمة تصفه، لما يتمتع به من صفات ممتازة، في مصاف

(دراما) وهذا يعني أن النعل الموجود فوق عرش (راما) يعتبر رمزاً بليغاً للقول المشهور (الحق فوق القوة).

وفيما يتعلق بالأبواب والفصول في ملحمة «الرامايانا» يقول الأستاذ «رومش دوت» (Romesh) - باحث هندوكي شهير في الآداب السنسكريتية - إنها في الأصل تحتوي على ستة أبواب فقط وتنتهي بعودة الأبطال إلى ديارهم بعد مغامراتهم الطويلة لسنين عديدة. ولكن الباب السابع الذي ألف بعد قرون من حدوث وتسجيل هذه الملحمة هو في الحقيقة معيار جديد للشعر السنسكريتي إذ تلوح فيه ملامح لغة جديدة حديثة ظهرت في القرون الأخيرة قبل الميلاد.

وخلاصة القول أن الملحمة تحتوي على ستة أبواب أصلية وذيل في الآخر يكون الفصل السابع.

ثم تتقسم الملحمة كلها والتي ألفت بالشعر إلى ٥٠٠ مقطع أو قصيدة تتضمن ٢٤٠٠٠ بيت .. وبدراسة الباب السابع يظهر لنا بكل وضوح أنه ألف قبل الميلاد إذ نجد فيه بلداناً وأحداثاً ومشاهد لم تعرف في عصر «راما» البطل وإخوته بالمرة. وعلى هذا الأساس يمكن لنا القول بأن الملحمة تصور أحداث القرن العاشر قبل الميلاد، ولكنها سجلت في هذا القالب الشعري في القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد[1].

---

(1) The Wisdom of India by Lin Yutang p. 123.

وهذه الملحمة ككثير من الكتب الهندوكية القديمة لا يعرف مؤلفها على وجه التحديد.

وقد جاء في «الرامايانا» نفسها أن الراهب «قالميكى» الذي مرت الإشارة إليه من قبل هو الذي ساعد «راما» في محنته في الغابة وهو الذي شاهد وعاصر جميع مشاهده البطولية ثم نظمها بعد عودة «راما» من منفاه إلى «أيودهيا». ففي هذه الآونة لجأت إليه «سيتا» زوجة راما وماتت في ديره، لأن راما نفاها إلى الغابة. ولذلك أتيحت للراهب فرصة تربية ابني «راما» اللذين عاشا في كنفه تربية رهبانية. وقد جال بخاطره في هذه الفترة الميل إلى نظم مشاهد «راما» ومواقفه البطولية كلها بالشعر. فبدأ في نظمها وقد استغرق هذا العمل منه خمسة وعشرين يوماً. كلما قرضْ «قالميكى» مقطعاً حفظه ابنا راما في نفس الوقت. وبهذا حفظا الملحمة كلها والتي تتكون من خمسمائة مقطع، تتضمن ٢٤٠٠٠ بيت. وقد أقام راما احتفالاً دعا فيه الراهب قالميكى أيضاً. فحضره «فاليكى» مع ابني راما اللذين أنشدا في هذه الحفلة ملحمة «الرامايانا» كلها. وقد أثارت هذه الملحمة دهشة راما وإعجابه، وكذلك أعرب الشعب عن إعجابه الشديد بها، وتقديره العظيم لها. فأقبل الناس على حفظها بشوق ورغبة منقطعي النظير. وبهذا احتفظت بها الصدور وتناقلتها الألسن دهراً طويلاً إلى أن سجلت كتابة في القرون الأخيرة قبل

الميلاد[1].

هذه الظاهرة تلقي الضوء على التأليف والتدوين في الهند في القرون الخالية، لأننا نفهم أنها كالبلدان المتحضرة الأخرى في العالم لم تسجل إنتاجها الأدبي والفكري من أول وهلة، بل تداولت ألسن الناس «الرامايانا» دهراً طويلاً، وحفظتها الصدور زمناً غير يسير، حتى وجهت العناية أخيراً إلى تسجيلها في الكتب بعد أن قطعت الهند مرحلة طويلة في ميدان العلم والفكر.

ولكن الرمايانا على الصورة الحديثة ليست جهود شاعر أو شاعرين بل ساهم في أداء هذه المهمة عدد من الشعراء البارزين الذين عاشوا خلال القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد كما هو الشأن لملحمة أخرى شهيرة ألفت بعد الرامايانا وهي «المهابهارتا» (Mahalharata).

ويجدر بنا الآن أن ننظر إلى النواحي الأدبية والفنية في هذه الملحمة. وما من شك في أنها من أولى نماذج الأدب والقصص في الأدب السنسكريتي بل الأدب الهندي قاطبة. وهي غنية بالأحداث والمشاهد والحكايات والصور، وتعتبر نواة أولى للأساطير والقصص والمسرحيات السنسكريتية الشهيرة التي ظهرت فيما بعد مثل «نالا» (Nala) و«ساوترى» (Savitri) وشكنتلا. وهي صادقة فيما تحكي عن نفسها في موضع من المواضع إذ أنه لم تظهر قصة على

---

(1) The Wisdom of India by Lin Yutang p. 271.

وجه الأرض قبل هذه القصة، وهي التي تغذي جميع القصص وتمنح القوة لجميع الشعراء وهي درة يتيمة للشعر والشعراء.

إن «الرامايانا» تحمل المثل العليا والأهداف النبيلة والقيم الأخلاقية والأعمال البطولية التي تمثل جوانب إنسانية رائعة فيها الدرس والعبرة لكل إنسان يقرؤها كما يلوح فيها وفي كل موقف من مواقفها الصفاء والجمال والصدق والرقة والعاطفة والهدف الأساسي فيها هو المرأة والبيت في حين أننا نجد ملحمة «المهابهارتا» تدور حول الرجل والحرب. وبما أنها أقدم تراث وصل إلينا تتجلى لنا فيها معالم الهند القديمة كلها من حياة شعبها ومجتمعها وتقاليدها ومعتقداتها.

أما الناحية الفنية فيها فهي تعطي بوادر أولى وأسساً ثابتة للأساطير الهندية التي ظهرت فيما بعد، لأنها تصور الغابات الهندية الشهيرة الممتلئة بالوحوش والحافلة بالأخطار والتي غامر فيها أبطال الملحمة أنفسهم وقضوا فيها سنين عديدة يهيمون على وجوههم ويخاطرون بأنفسهم ويتنقلون من غابة إلى غابة ومن بلد إلى بلد من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب حتى جزيرة «سيلان» الشهيرة التي منحت هذه القصة الشهية جوانب إنسانية رائعة وبطولة عظيمة ومواقف بين النهرين الشهيرين «الجنجا والجمنا» مثل «أوده وقنوج واله آباد» ولكن لا يكاد يبين لنا في خلال هذه الملحمة أثر المدن الشهيرة الأخرى مثل «دلهي» و«أجين» اللتين لعبتا دوراً كبيراً في الأدب السنسكريتي القديم ولا سيما في ملحمة «المهابهارتا»

ومسرحية «شكنتلا» وهذه الظاهرة تدل على أن نطاق هذه الدولة لم يتسع إلى هذه المناطق. ومع ذلك يتضح لنا من خلال معالم الهند كلها مثل طبيعتها الفتانة وجمالها الباهر وأنهارها الجارية وغاباتها المظلمة ووديانها ورعودها وأمطارها وسحبها.

وهذه الملحمة أو الأسطورة تصور الحياة الروحية والقيم المعنوية لدى الهنود في هذه الفترة من الزمان. فلقد قطع الآريون مراحل عديدة في تطورهم التاريخي والفكري إذ مرت حياتهم حيناً بالمادية البحتة وحيناً آخر بالروحانية المحضة. وبما أن «الرامايانا» تصور أولى مرحلة حياة الآريين في الهند فنرى أن حياتهم تموج بالروحانية والقيم الأخلاقية والمبادئ السامية.

ومن الأهداف الرئيسية فيها أنها تحث الإنسان على التضحية وأداء الواجبات نحو الإنسانية ويذم الأنانية والحرص على تحقيق الأغراض الشخصية[1]. والسبب في ذلك أن الإنسان في كل مكان قطع المرحلة الأولى من الحياة في الإيمان بالله وقدرته وجبروته في هذا الكون. ثم ظهر عليه الطغيان والتمرد أخيراً مما حدى به في بعض الأحيان إلى الكفر بالله والجري وراء المادية والشهوانية. وقد وقعت الهند في هذا اللون من الحياة في العصور التي تلت «الرامايانا» كما تصورها ملحمة «المهابهارتا». وهذا هو السبب في أن «كرشن» الشخصية الأسطورية في هذه الملحمة حمل لواء المعارضة ضد هذه

(١) The critical survey of Indian philosoghy by Dr. Chandradar p. 41.

الحياة.

وحينما ننظر إلى القيم الروحية والمبادئ السامية في «الرامايانا» نجد أن أحسن ما يتصوره الإنسان في هذا المجال الطاعة والخضوع والوفاء والإخلاص والمحبة والتضحيات والعفو والتسامح والكرم وما إلى ذلك. وأول ما نصادفه في هذا الصدد أن الملك «دساراتا» يحب ابنه الأكبر راما حباً جماً، ولكنه يقع في خديعة زوجته الصغيرة الجميلة فيقطع لها العهد على نفي «راما» من البلاد وتولية ابنها «بهارت» العرش. ونجد أنه وفاء لعهد والده مع زوجته يترك البلاد ويهيم على وجهه في الغابات فيما يقرب من أربع عشرة سنة، يعاني فيها الكثير من أنواع العذاب والتعب والإرهاق. كل هذا حباً لوالده وطاعة وخضوعاً لمشيئته. وأما «سيتا» زوجته فتطيع زوجها إلى حد العبادة وتضرب الأمثلة الرائعة للزوجة المثالية بوفائها وإخلاصها وتضحياتها له حتى في أصعب اللحظات حينما يخطفها الملك «راون» ملك سيلان ويرغمها على الزواج منه.

وحينما يرافق راما أخوه «لشمن» إلى الغابة تصور هذه المشاهد نماذج حية لحب الأخوة بعضهم لبعض، وإخلاصهم وتضحياتهم. وفي ثنايا هذه المصائب والآلام يضطر راما إلى إعلان الحرب على راون ملك سيلان لإنقاذ زوجته سيتا الوفية من قبضته الظالمة، ولكن هذه الحرب هي الأخرى تعطي درساً أخلاقياً رائعاً لأنه يتجنب فيها إراقة الدماء ونشر الدمار في أول الأمر، ويحاول بأقصى ما في وسعه من جهد لإيجاد حل سلمي. وحينما تدور رحى الحرب بين الفئتين

يحاول راما بأقصى ما يستطيع أن لا تطغى عليه ثورة الانتقام أو يسيطر عليه غضب أو قهر. فكان كل همه منحصراً في إنقاذ زوجته من الملك الطاغية الذي خطفها ووضعها تحت سيطرته ظلماً وطغياناً. تبدو لنا هذه الحرب ومن خلال هذه القيم المعنوية الرائعة حرباً مقدسة وليست حرباً دامية تصورها ملحمة المهابهارتا.

قد ساد الجانب الروحي هذه الملحمة إلى حد كبير لأنها تروى على لسان راهب يصف معاركها ويسرد أحداثها سرداً دينياً مقدساً. ومن أجل هذه الصبغة الروحية والقيم المعنوية فيها يرى الباحث توماس (Thomas.W.F) أنها تمهد السبيل للبوذية التي نشأت بعد ظهور هذه الأسطورة فيما يقرب من ستة قرون لأنه طغى عليها كلها ذلك الجانب الروحي الذي يلمح في الرامايانا بأبدع مظاهره وأدق معانيه[1].

ومن مميزات الديانة الهندوكية الآرية التي تميزها عن الديانات السماوية السامية - مثل الإسلام واليهودية والمسيحية - أنها لا تعتقد في النبوة ولا يوجد فيها هذا التصور بتاتاً، بل تؤمن بنظرية الأوتار أو التجسد وهي ظهور الله سبحانه في مظهر إنساني واتخاذ قالبه لهداية البشرية وإرشادها إلى فعل الخير في هذا الكون. وقد نشأت هذه العقيدة لأول مرة في التاريخ الهندوكي في الرامايانا لأن «القيدا» - أول كتاب في الفكر الهندوكي - يؤمن بتعدد الآلهة التي

---

(1) The Legacy of India p. 64.

تملك طاقات هائلة في البر والبحر والشمس والنار والعواصف. وأما كتب «اليوبانيشاد» التي ظهرت فيما بعد فهي تعطي فكرة ناضجة عن الإيمان و«براهمان» (Brahman) الذي لا مثيل له ولا نظير ولا شبيه إذ هو قوة هائلة تملك السموات والأرض وهذه العقيدة بدون شك تصور أقصى مرحلة للفكر الآرى حيث تزول جميع الآثار الوثنية ويتجلى التوحيد بأبدع مظاهره كالديانات السماوية السامية. ولكن «اليوبانيشاد» لا يمكن تحقق الاستفادة منه إلا للمتعلمين والعلماء فقط، ولذلك كانت الحاجة ماسة إلى عقيدة تتوسط بين الوثنية وبين التوحيد، تؤمن بها جماهير الشعب الهندوكي التي لم تبلغ مبلغاً كبيراً في مستواها الفكري، وهذه هي نظرية الأوتار التي ظهرت لأول مرة في «الرامايانا» في شخصية راما بطل الأسطورة. ثم تطورت تطوراً كبيراً في ملحمة أخرى وهي المهابهارتا وذلك في شخصية كرشن بطل هذه الملحمة. وهذا هو السبب في اعتقاد جماهير الشعب الهندوكي من الطبقة المتوسطة حتى الآن بأن هؤلاء الأبطال هم الآلهة الذين تقمصوا الإنسان لهدايته في هذا الكون في حين يعتقد الفلاسفة والعلماء من الهندوس أن هؤلاء شخصيات خالدة أسطورية في التاريخ الهندوكي وليسوا من الآلهة أبداً.

ومما تمتاز به الرامايانا أنها تُصور عصرها تصويراً دقيقاً بحيث تتجلى أمامنا جميع مظاهرها من العقائد والتقاليد والمراسيم والحياة السياسية والاجتماعية وتوحي إلينا بأننا نعاصر أبطال هذه الملحمة ونشاهدهم أمامنا كشخصيات في نفس العصر والزمن والبيئة. وفي

هذا العصر ـ كما تصور الرامايانا ـ كان الهنود متمسكين بالقيم الإنسانية والمبادئ الروحية السامية والإيمان بالإوتار، وكانوا بعيدين كل البعد عن المادية والأنانية والشهوة النفسية. ومن أهم ظواهر المجتمع في هذا العصر أن تعدد الزوجات كان شائعاً. ومن أجل ذلك نرى الملك دساراتا قد تزوج بما يقرب من أربع زوجات. وهذه الظاهرة هي التي جلبت مشكلات وويلات عدة كنفي راما من بلده وموت دساراتا بسبب ذكريات ابنه الأكبر الذي اختار لنفسه الغربة والنفي من أجل أبيه.

يقول الدكتور «رادها كرشنان» ـ الفيلسوف الهندوكي الشهير ورئيس جمهورية الهند الأسبق ـ: أن هذه الظاهرة في الرامايانا سيئة للغاية لأنها تفتح المجال لتعدد الأزواج الذي لا خير فيه للإنسان أبداً. وقد امتلأت قصور دساراتا بالنساء والحريم ودعا إلى الاكتفاء بزوجة واحدة[1].

وحينما ننظر إلى راما الذي تولى عرش أبيه بعد العودة من المنفى لا نجده مجرد ملك يملك الأرض ويأمر وينهى، بل نجده بجانب ذلك محباً لشعبه عطوفاً عليه، كأنه أب ممتلئ قلبه بالحنان والشفقة والرحمة على بنيه. وكذلك أعرب الشعب عن شكره وتقديره وإعجابه به إلى حد بعيد حتى اتخذه بطلاً أسطورياً وإلهاً من الآلهة.

وخلاف وصف الرامايانا لعصره يبدو لنا أنه عصر ذهبي عاش

---

(١) The Hindu view of life p. 86.

فيه شعبه ممتعاً بما ساده من الطمأنينة والرفاهية والوئام. لأن هؤلاء الملوك سعوا وراء تحقيق رفاهية الشعب وتوفير أسباب الراحة له سواء أكان دساراتا أو راما ـ بطل الملحمة الذي اتخذه الشعب إلهاً من الآلهة لشدة إعجابه به وتقديره له. كذلك يتجلى راما في الملحمة كبطل وإنسان يتصف بالأخلاق العالية ويحمل قوى معنوية عظيمة.

وبهذا تركت الرامايانا أثراً قوياً في نفوس الهندوس واحتلت مكانة الصدارة بين غيرها من الملاحم والأساطير. كما ساهمت مساهمة كبيرة في رفع معنوية الشعب ومنحه قوة روحية دافقة وإيقاظ شعور الحب والتضحية في نفوس الهندوس لتقديس وطنهم ومعتقداتهم الدينية وشخصياتهم الأسطورية الخالدة إلى حد العبودية.

ونرجع الآن إلى الموضوع الذي أشرنا إليه في البداية حول تشبيه الرامايانا بالأوديسة. فقد حاول بعض الباحثين وعلى رأسهم (Dutt.Romesh, C) و(Lin Yutang) مقارنتها بملحمة يونانية شهيرة هي الأوديسه (Odyssey) أن الأوديسه هي إحدى ملحمتي «هوميروس[1]» الخالدتين والأخرى هي «الألياذة». وتتكون الأدويسة من أربعة وعشرين نشيداً. يروى لنا الشاعر في الأناشيد الأولى (١-٤) محاولة « تليماخوس» البحث عن أبيه «أودوسيوس» الذي طال غيابه بعد سقوط «طروادة». فلما وصل الابن إلى بلاط «فيلاوس» عرف أن

---

(١) وهو أعظم شعراء اليونان الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد في آسيا الصغرى في إحدى المدن الآتية : ((أثينا)) و((أدنير)) و((خيوس)) و((كولوفون)).

أباه قد وقع أسيراً في كاليبسو. ثم يصف لنا الشاعر وصول بطل «الأوديسة» إلى أهل «فاياكيا» حيث يرحب به الملك (٥ ـ١٢) ثم يعود «أودسنيوس» ويعود ابنه إلى «ايتاكا» ويتفقان على تدبير حيلة للانتقام من العشاق الذين ضايقوا «بنيلوبا» (Panelope) في غيبة زوجها (١٣ـ٢١) فيقتلهم «أودسيوس» (٢٢) ثم يكشف عن شخصيته لزوجته ويسترد حكمه ويعيش آمناً في وطنه.

يقول الأستاذ (Lin Yutang) أن كلاً من الرامايانا والأوديسة يتناول الغربة والنفي والتشريد، لأن راما يهيم على وجهه في الغابات تصاحبه زوجته المخلصة ««سيتا» كما يخرج «تليماخوس» في البحث عن أبيه الذي طال غيابه بعد سقوط طروادة. وثمة تشابه آخر بينهما وهو أن «سيتا» بطلة الأسطورة تقع في اختبار شديد لوفائها وإخلاصها لزوجها وتخرج بنجاح في امتحانها ولا يمس شرفها وعفتها خلال هذه الملحمة بشيء. وكذلك في «الأوديسه» تختبر «نيلوبا» زوجة الملك «أودوسيوس» بعد غيبة زوجها[٢]. وهي الأخرى تعود إلى زوجها بعد أحداث طويلة. وهذه الملحمة اليونانية تحمل تلك القوى المعنوية. والأخلاق الإنسانية التي تمتاز بها طبيعة الهند وتصورها ملحمة «الرامايانا». ولذلك يقول الأستاذ (Romesh Dutt): أن كلاً من راما وسيتا يعطي أروع مثال للإنسان الكامل الذي نبتغي وجوده في حياتنا، ويمثل المثل العليا التي نتلمسها

---

(٢) The Wisdom of India p. 122-123.

ونريدها. وهما يحملان قيماً إنسانية رائعة إذ تتمثل فيهما البطولة والشجاعة والمصابرة والصمود أمام الصعوبات والمشكلات. وبهذا يضرب كل منهما مثلاً رائعاً للحياة الفضلى. وهذه الحياة الطيبة هي التي يتطلع إليها الهندوس وتطالب بها ديانتهم لتكون في سلوكهم ومعاملاتهم، وتصور نفس هذه الحياة المثالية «الكوميديا الإلهية» التي ألفها «دانتي» (Dante) في القرون الوسطى في أوربا لإعطاء صورة أوربا الروحية. إن قيمنا الإنسانية ربما لا تتلاءم مع القيم القديمة. قبل المسيح وبعده إلى القرن الرابع عشر الميلادي إلا أننا رغم ذلك نجد أنفسنا في مسيس الحاجة إليها إذ لا يمكن لنا التغافل عنها مهما تغيرت الظروف، لأنها تمثل مبادئ سامية للإنسان في فترة من الفترات التاريخية القديمة.

وبلغ إعجاب الأُوربيين بالرامايا حدّاً كبيراً جداً، فهي أقرب إلى أفهامهم من (المهابهاراتا) وخير من عَبَّر عن ذلك هو قول «ديورانت» عنها:

ألا ما أمتعها من قصة، يستطيع حتى المتشائم في عصرنا الحديث أن يستمتع بها، إذ كان من الحكمة بحيث يترك زمام نفسه آنا بعد آن لروعة الخيال ونعمة الغناء، فهذه الأشعار التي ربما كانت أحط قدراً من ملحمتي هومر من الوجهة الأدبية - في بنائها المنطقي وفخامة اللغة وعمق التصوير، والصدق في في وصف الأشياء على حقائقها - تمتاز بدقة الشعور، وبإعلائها من شأن المرأة والرجل إعلاءً مثالياً، وبتصوير الحياة تصويراً قوياً - وهو تصوير واقعي

أحياناً؛ فلئن كان «راما» و«سيتا» أسمى خلقاً من أن يكون شخصيْن حقيقيين، فغيرهما من الأشخاص مثل «درويادى» و«يوذشثيرا» و«ذريتا ـ اشترا» و«جانذارى» يكادون يكونون في قوة الحياة التي تراها في «أخيل» و«يوليسيز» و«بنلوب»؛ ويستطيع الهندي أن يحتج في حق قائلاً إن الأجنبي لا يمكنه قط أن يحكم على هاتين الملحمتين، بل لا يمكنه قط أن يفهمهما؛ فهما للهنديّ ليستا مجرد قصتين بل هما في رأيه بهو من أبهاء الصور، يشاهد فيه أشخاصاً مثاليين يمكنه أن ينسج في سلوكه على غرارهم، هما مستودع تستقر فيه التقاليد، كما تستقر فلسفة أمته ولاهوتها فهما ـ بوجه من الوجوه ـ كتب مقدسة يقرؤها الهندي على نحو ما يقرأ المسيحي «محاكاة المسيح» أو «تراجم القديسين»؛ إذ يعتقد الهدي الورع أن «كرِشْنا» و«راما» صورتان مجسدتان للألوهية، ولا يزال يتوجه إليهما بالصلاة؛ وهو حين يقرأ أخبارهما في هاتين الملحمتين، يشعر بأنه يستمد من قراءته سمواً دينياً، كما يستمد متعة أدبية وارتفاعاً خلقياً؛ وهو يؤمن أن قراءته لـ «رامايانا» يطهره من أوزاره جميعاً».

إن هذه القيم الروحية في «الرامايانا» لم تلعب دورها في حياة الهندوس إلى أمد بعيد. بل سرعان ما طرأ غليها أنواع من التغيرات والتقلبات إذ ظهرت فلسفة جديدة تسمى بالسنسكريتية (Vasihnavism) وهي عبارة عن التقاء قدرة الله سبحانه مع الإيمان بالله الذي وصل إليه الإنسان. وقد نشأت هذه الفلسفة في

القرن الثاني قبل الميلاد وأذابت آثار الراميانا والمهابهارتا الخالدة التي سيطرت على مجامع قلوب الناس ردحاً طويلاً من الزمن وذلك بفضل جهود كهنة هذه الفلسفة[1]. وهذه الظاهرة هي التي جعلت الضعف والانحلال يدبان في المبادئ التي نادت بها هذه الأساطير الخالدة.

ولكن الهندوس رغم كل التطورات التي طرأت على العقائد الهندوكية وفلسفتها على مرور الزمن يعربون عن تقديرهم وشكرهم للرامايانا وإعجابهم بها إلى حد كبير، لأنها تتحلى بأعلى آيات القيم والمبادئ. وهذه الملاحم لا تزال تقرأ في المعابد والأماكن المقدسة وفي البيوت ليلاً ونهاراً للموعظة والعبرة والدرس.

ومن أهم الظواهر في الرامايانا والتي جذبت إليها نفوس الهندوس وتملكت وجدانهم وعواطفهم المثل العليا التي تضربها سيتا في هذه الملحمة كامرأة هندوكية مثالية. ولذلك لا تزال تعلق النساء الهندوكيات آمالهن العريضة على سيتا ويستعدن ذكرياتها وبطولتها وتضحياتها وحبها المفاني لزوجها وإخلاصها له ووفاءها ليحاكينها في حياتهن الخاصة ويتمثلنها في التقديس والعبادة.

وقد استوحى عشرات من المفكرين الهندوس وزعمائهم الدينيين في شتى مراحل التاريخ الهندوكي في الرامايانا، ولا يزالون

---

(١) The Legacy of India p. 369 A Critical Survey of Indian Philosophy p. 335.

يستمدون منها أصولاً ونماذج لحياتهم المعاصرة ويستلهمون منها الدروس والعبر والموعظة في حياتهم الروحية وسلوكهم الشخصي. فقد دعت شخصية راما الأسطورية المثالية الإنسان الكامل للهندوس وهو الزعيم الروحي «رامانوجا» (Ramanuja) أن يرفع راية التوحيد في المنطقة الجنوبية في القرن الثاني عشر الميلادي. وكذلك دعا «راماناندا» (Ramananda) - المفكر الهندوكي الشهير في القرن الثالث عشر الميلادي - شعب شمال الهند إلى التوحيد. أما الزعيم الروحي الكبير «كبير داس» (Kabirdas) الذي عاش في نفس القرن تقريباً فقد دعا إلى الوحدة بين الهندوس والمسلمين قائلاً: إن إله محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس الإله الذي يتمثل في شخصية راما وعلى ابن أبي طالب[1]. وهذه كلها إشارات صوفية توحي إلينا بأن الله قد تمثل في شخصية راما كما تعتقد بعض الطوائف من غلاة الشيعة في أن الله تجسد في شخصية علي بن أبي طالب، ولا تزال تلتمس من الرامايانا معظم الطوائف الهندوكية - ومن أبرزها «وشنو» (Vishnu) و«سيوا» (Siva) اللتان تشكلان أغلبية ساحقة في الهند - المعونة الروحية[2].

ووفقاً لهذه المعطيات فالمرايانا ليست مجرد جزء من التراث الهندي القديم الذي قد يهتم به المتخصصون دون غيرهم من أفراد المجتمع كما هو الحال في المجتمعات التقليدية ذات التراث العريق، وإنما

---

(1) The Ramayana of the Mahabharata p. 162.

(٢) نفس المصدر السابق.

هي تمثل أيضاً جزءاً من الواقع الحي في المجتمع الهندي الحديث، ولا تزال شخصيات الملحمة وخصوصاً البطلين يعتبرونه بمثابة المثل الأعلى الذي يتمثل به الهندوس. وربما كان هذا أوضح بالنسبة لمحاكاة النساء لبطلة الملحمة (سيتا) في إخلاصها ووفائها لزوجها وتمسكها بعفتها وشرفها، إذ تتم تنشئة الفتاة الهندوسية وتربيتها على النمط الذي يميز سلوك سيتا وتصرفاتها وفكرتها عن الواجبات الزوجية والعائلية ونظرتها بوجه خاص إلى الزوج. ولقد دخل راما إلى الضمير الشعبي وتغلغل فيه بطريقة أخرى أكثر دلالة وأهمية وذلك حين ساد الاعتقاد بين الهندوس بأنه هو تجسيد للإله فشنو **Vishnu** إله الشمس وحارس الكون. ولا يزال هذا الاعتقاد قائماً حتى الآن عند كثير من الهندوس الذي ينظرون إليه نظرة ملؤها التقديس والحب والاحترام. وعلى ذلك فدراسة الرمايانا لا تعتبر مجرد دراسة لجزء من تراث الماضي وأحداثه وأساطيره، وإنما هي دراسة لصورة المجتمع الهندوكي كما يتمثل في ذلك العمل الإبداعي الذي يحتوي على كثير من التفاصيل والمعلومات الهامة.

كل هذا إذن عناصر تبين مدى علاقة الملحمة القديمة بحياة المجتمع الهندوسي المعاصر. وإذا كان الأستاذ جيلبرت مري قد وصف الملاحم الكلاسيكية الإغريقية بأنها تعرض لنا «الماضي المثالي» مما يعني انفصالها عن الواقع الحقيقي الذي يحياه الناس في المجتمع، فهذا وضع يختلف تماماً عنه في الرمايانا حيث تعيش أحداث الملحمة بكل ما تحمله من مبادئ وقيم وأفكار ومثل عليا

في حياة الناس حتى الآن، وحيث لا تزال تؤلف ـ بشكل أو بآخر ـ جزءاً من الثقافة ومن البناء الاجتماعي. وهذا هو ما يجعلها موضوعاً صالحاً للتحليل الأنثربولوجي. وليس أدل على ذلك من الاحتفالات السنوية التي تقام في بعض مناطق الهند حتى الآن والتي تُقدَّم فيها بعض مشاهد الملحمة ومواقفها، كما لا يزال إنشاد الملحمة وروايتها يُعتبران من أهم ملامح احتفالات راما السنوية التي تقام في بنارس، كما تمثِّل المسرحيات المستمدة من الملحمة في احتفالات الهند السنوية وتجد إقبالاً شديداً من ملايين الهندوس الذين يرون فيها صورة فنية لحياتهم ومبادئهم وقيمهم ومثلهم العليا. والأكثر من ذلك أن الرمايانا تعتبر مصدراً من أهم المصادر لمعرفة المبادئ التقليدية التي تنظم العلاقات داخل الأسرة، وبوجه خاص العلاقات بين الزوجين والحقوق والواجبات التي يلتزمان بها كما تتمثل في حياة بطل الملحمة راما وزوجته سيتا **Sita**، وكذلك حدود سلطة الأب على بقية أفراد العائلة باعتبار العائلة التقليدية في الهند عائلة أبوية بكل معاني الكلمة؛ أي أبوية النسب والإقامة والنفوذ، حيث يحتل الذكور مركزاً ممتازاً ويحظون بمكانة أعلى بكثير من مكانة المرأة؛ كما أن الملحمة تحدد أسلوب التعامل بين أعضاء العائلة تبعاً لفوارق السن والجنس. ولا يزال هذا كله يؤثر بشكل مباشر وفعال في سلوك الهندوس، أو أنهم على الأقل يتخذون العلاقات الزوجية بين بطلي الملحمة (راما وسيتا) نموذجاً ومثالاً يوجه سلوكهم ويحدد

علاقاتهم ومسؤلياتهم تجاه بعضهم بعضاً[1].

ولما كان راما قد عانى من التشرد والنفي أربعة عشر عاماً وقاسى فيها كثيراً من الحرمان والأهوال قبل أن يعود ليرتقي عرش أبيه. فإن هذه المعاناة كانت عنصراً أساسياً في تربية الهندوسي المتدين في الماضي، إذ كان الفتية الآريون في الهند القديمة يعيشون بعيداً عن عائلاتهم لفترة من الزمن قد تطول إلى إثنتي عشرة سنة أو أكثر، وقد تصل إلى ستة وثلاثين عاماً كاملة يتولى أمرهم في أثنائها (أساتذة) ومعلمون يحيون معهم حياة النفي والزهد والتقشف، وقد يصل بهم الأمر - كجزء من الإعداد والتربية - إلى التسول على الأبواب طلباً لطعامهم اليومي وإلى ارتداء الملابس الخشنة القاسية التي كانت تميز طلاب العلم والمريدين. وهذا نوع من التدريب يشبه إلى حد كبير شعائر التكريس التي يمارسها كثير من المجتمعات البدائية وخصوصاً في أفريقيا لإعداد فتيانهم لحياة المستقبل بكل ما فيها من قسوة وعناء ومشقة. ولذا فإن الهندوس لا يزالون يرون في حياة راما صورة نموذجية للحياة الهندوسية الحقة والكاملة التي تقوم على تقبل الواقع مع التواضع وإنكار الذات وتكريس الحياة لأداء الواجب. بل إن هذا نفسه هو ما نجده في حياة سيتا أيضاً وما عانته من قسوة ومرارة إلى جانب تفانيها كامرأة هندوسية في

---

(١) انظر التذييل الذي كتبه روميش دات (Romesh C. Dutt) للترجمة الانجليزية المختصرة التي قام بها للرمايانا في كتاب: The Ramayana and Mahabharata; Condensed into English Verse; Everyman;s Library, Dent, London 1936, p. 154.

حب الزوج والإخلاص له. وهذا هو ما يجعلها أثيرة إلى نفوس نساء الهند إلى الآن. والأجزاء الخاصة في الملحمة بأعمال وحياة ومعاناة سيتا كانت تعتبر أداة طيبة لتعليم الفتاة الهندوسية واجباتها في الحياة ونحو الزوج والعائلة والبيت والمجتمع، ولذا تحفظه الكثيرات عن ظهر قلب، كما لا تزال الأجزاء الخاصة بالشعائر التطهيرية التي أجريت عليها لإثبات طهارتها ونقائها وصمود سيتا لهذا كله في إباء وكبرياء واعتداد بالنفس ثم دعاؤها في آخر الأمر أن تستردها أمها الأرض كدليل أخير على تلك الطهارة تثير الإعجاب في نفوس الفتيات. وبصرف النظر عما في تلك الأشعار من خيال مبدع فإن الدلالة الاجتماعية هي التي تهمنا هنا، وهي تتعلق بقدرة المرأة على تحمل القسوة ودفاعها عن شرفها واستماتتها في إبراء اسمها والتدليل على ذلك الطهر بنبذ الحياة بكل ما فيها بعد أن تكون قد برهنت على تلك الطهارة.

وإلى جانب ذلك تعرض الملحمة في شيء من التفصيل للآداب والصناعات والحرف، وبعض الشعائر والطقوس الدينية والممارسات السحرية في مختلف أنحاء الهند، بل إنها تقدم لنا أيضاً وصفاً طيباً لبعض ملامح الحياة السياسية عند بعض الطوائف الهندية **Castes**. وقد يخلط الشاعر بين العادات السائدة في المناطق المختلفة ويضعها جنباً إلى جنب كما لو كانت توجد كلها معاً عند جماعة واحدة، ولكن الدراسات الأنثربولوجية الحديثة خليقة بأن تساعد على الفصل والتمييز بين تلك العادات وأن ترد كلا منها إلى الجماعة

المحلية التي تمارسها بالفعل.

وأياً ما يكون الأمر، فإن الرمايانا - كما يقول دوميش دات - هي تراث حي وإيمان وعقيدة حية أيضاً في الهند. فهي تؤلف أساس التربية الأخلاقية في المجتمع الهندوسي كله، ولا تزال الأجيال المتتالية من الهندوس يدرسون الملحمة السنسكريتية القديمة ولكن في ترجماتها الحديثة، فضلاً عن أنهم كثيراً ما يسمعونها وهي تُنشد في قصور الأغنياء، أو يرونها وهي تُمثّل على المسرح في الأعياد الدينية في المدن الكبرى. والأكثر من ذلك أن الرمايانا استثارت بعض المصلحين الدينيين إلى العمل على تنقية وتهذيب كثير من المعتقدات الشعبية في الهند الحديثة وتطهيرها من الشوائب. فقد أصبح راما هو (روح الله) التي نزلت إلى الأرض كما أصبح - على ما قلنا - تجسيداً للإله فشنو حارس الدنيا وحاميها. ولذا فإن معرفة الرمايانا ودراستها من شأنها أن تساعد على فهم المجتمع الهندي بطريقة أفضل، كما أن تتبع تأثير الملاحم الهندية بوجه عام في حياة الناس وحضارة الهند وفي تطور لغاتهم وآدابهم الحديثة والدور الذي لعبته في الإصلاح الديني هناك معناه في آخر الأمر الوصول إلى فهم أعمق وأدق لتاريخ شعب من الشعوب العريقة خلال ثلاثة آلاف سنة.

ترجمات الرامايانا:

لعل أقدم ترجمة للرامايانا قد ظهرت مبكرة في لغة «تامل» أشهر

لغات جنوب الهند في سنة ١١٠٠م. ثم توالت لها ترجمات كثيرة إلى اللغات الهندية الرسمية والشعبية. أما الرسمية فقد ترجمها الشيخ عبد القادر البديوانى إلى اللغة الفارسية - وهي اللغة الرسمية الهندية في العصور الإسلامية كلها - وذلك في عصر الملك المغولي الشهير «جلال الدين أكبر» الذي ازدهرت فيه العلوم والفنون وشهد أعظم نشاط لحركة الترجمة في التاريخ الهندي أجمع. لقد بدأ الشيخ عبد القادر البدايونى ترجمته إلى اللغة الفارسية في سنة ٩٩٥هـ - ١٥٨٦م وأنهاها في سنة ٩٩٩هـ - ١٥٩٠م. كانت هذه الترجمة تتكون من عشرين جزءاً، وأهداها المترجم إلى الملك جلال الدين أكبر فسر به الملك سروراً بالغاً، لأنه كان يوجه عناية كبرى إلى الحضارة الهندوكية وفلسفتها بدونِ سابق مثال له في تاريخ الملوك المسلمين الهنود أجمع. وتوجد نسخ خطية كثيرة من هذا الكتاب في معظم مكتبات الهند حتى وقتنا هذا[1].

أما في العصور الأخيرة فقد ترجمها إلى اللغة البنغالية الأستاذ **(Kritibas)** وإلى اللغة الهندية الأستاذ **(Tulasi Das)** وإلى لغة «مارهاتا - لغة ولاية بمباى - الأستاذ **(Sridhar)** أما ترجمة «تولاسيداس» إلى اللغة الهندية فتعتبر ترجمة قيمة ودراسة علمية دقيقة. ومن أجل ذلك ترجمت دراسته إلى اللغة الانجليزية واللغات الأخرى.

---

(١) انظر: مبرم تميورية (باللغة الأردية) للأستاذ صباح الدين عبد الرحمن ص٦٣.

كان هذا المترجم معجباً جداً بالرامايانا ومبادئها حتى أنه كان يفتخر حين يسمى ويلقب بالرجعي إذ لاحت عليه الآثار الرجعية بسبب إعجابه بالرامايانا بكل جوارحه، ولإيمانه القوي بما ورد فيها من التقاليد والمبادئ والتعاليم[1].

أما العناية بها في العصر الحديث في بلاد أوربا فقد وجدت في «إيطاليا» أول ما وجدت حيث ترجمها إلى اللغة الايطالية الأستاذ (Gorresio) في ١٨٤٣ ـ ١٨٦٧م على نفقة ورعاية «شارل البرت» ـ ملك ساردينا. ثم ترجمها إلى الفرنسية الأستاذ (Hippolyte.M) وكذلك ترجمت إلى اللغة الانجليزية في مدينة كلكتا بالهند أيام احتلال الانجليز في بداية القرن العشرين. وقد أعيد طبع هذه الترجمة في مدينة «بمباى» بمقدمة قيمة للأستاذ (Ramanuju) ثم طبعت هذه النسخة بعناية من الأستاذ (Hemchandra Vidyaranta) في مدينة كلكتا في ١٨٨٥م. ثم وجه الأستاذ (Ralph Griffith) عنايته إلى ترجمة الأجزاء الستة الأولى من الرامايانا إلى الشعر الانجليزي، والجزء السابع وهو الملحق إلى النثر الانجليزي. وبهذا وصلت ملحمة الرامايانا إلى أوربا واحتلت مكانة مرموقة في آداب أوربا حتى أعجب بها أدباء أوربا ورحبوا بها إعجاباً وتقديراً وألموا بها شرحاً وتفسيراً.

ولما دخلت الهندوسية إلى أندونيسيا أصبحت الرامايانا من أشهر

---

(١) The Legacy of India p. 380.

القصص الدينية المشوقة لعامة الناس، فترجمت إلى لغة الملايو ومثّلت في المسارح، ولما دخل الإسلام إلى أندونيسيا بقيت الراماياتا محافظة على شعبيتها، وأدخلت بعض التعابير والاعتقادات الإسلامية على الملحمة ومن ذلك بدايتها بكلمة «وبه نستعين» ومناجاة الخالق من بعض شخوص الملحمة بكلمة «رب العالمين»، ووصل نسب الملك الهندوسي بسيدنا آدم، وبعضهم أبدل بطل القصة بالله رب العالمين»[٢].

أما تعريب الرامايانا فمن أقدم الأعمال التي اختصرت الملحمة وعربتها ما نشرته مطبعة النضير (من دون تاريخ) بعنوان«رامايانا أو مجازفات راما» في ٧٢ صفحة، وعرَّبها نظماً الشاعر وديع البستاني لكن عمله البارع لم ينشر حتى اليوم وترجم السيد مؤيد عبد الستار مختصراً للملحمة كتبه سوامي سيتاناندا، ونشرته دار المنفى في السويد ١٩٩٦. وحاول عبد الله فنون تعريبها نظماً ولم يُعرف عن هذا العمل إلا مقاطع صغيرة منها ما نظمه على لسان (رام):

قـال يبكــــي حبـــــه	أبكيك يا (سيتاي) عمرا
أي شــــــيطان أتـــى	حيــن وافــى الـرب كــرّا
سـوف لا أرضى بديـلاً	عنــك يــا ســيتاي أخــرى

(٢) راجع مقالة محمد فياض الموسومة ((تأثير راماتنا في أدب أندونيسيا وحياتها)) تعريب حبيب الرحمن. ثقافة الهند (يناير ١٩٦٤) (ص٦٣-٨٠).

لا أقبـــل الدنيـــا ولا كــل ذي الأمــوال مهــرا

إنـــني أعمـــر بحبـــك أبتغـــي مـــن قيـــس نصـــرا

إن قيســـاً لي مـــلاكاً وهـــو رب القـــول شـــعرا

آه ســعدى قـد خبـــا إذْ لا أرى في العيـــش خـــيرا

إن عرشـــي قـــد هـــوت أركانـــــه بـــرّاً وبحـــرا

هيـــا عـــودي أنعشـــيني إنـــني قـــدمـــت صبـــرا

إنـــني رب وإنـــــي مـــالك شـــرقاً وغـربـــا

إنـــني في الهنـــد معبوداً وذا أمـــــري يُلّبـــــى

الرامايانا المنظومة

قام سوامي تُلسي داس **Tulsidas** بنظم ملحمة الرامايانا شعراً، وهو أفضل وأشهر من نظمها وحفظها وتناقلها الملايين من الهنود عبر مئات السنين.

وقد ولد هذا الشاعر سنة ١٥٣٢م في قرية على شاطئ نهر الجمنا بالقرب من مدينة إله آباد، ونشأ يتيماً بعد أن توفيت أمه هلسي **Hulsi** وهو ابن أربعة أعوام وبعدها بقليل توفي والده فأمضى أيام طفولته في بُؤس عسر شديد، ثم كفله رجل الدين الهندوسي الكَرو هري داس **Hari Dasa** فأخذ العلوم عن طريقه وعن طريق البراهمة الآخرين، وبعد شبابه تزوج ببنت أحبها حبّاً شديداً وهي السيدة (رتناولي) وصادف أن ذهبت مرة إلى دار أهلها وتأخرت عليه فازداد قلقه عليها من أثر الهيام والوجد فقرر الذهاب إلى قرية زوجته وكانت بعيدة وبعد مشقة بالغة وصل إلى زوجته وقت انتصف الليل فاستغربت زوجته مجيئه في هذه الساعة المتأخرة من الليل وقالت له ساخرة «أنت تهيم في حبّ هيكل مكون من لحم وعظم إلى هذا الحد المفرط، فلو كنت تحب الله مثل ما تحبني لكنت قد عبرت بحار الصعوبات» فأثّر هذا في نفسية الشاعر تُلسي داس، فرجع في ساعته إلى إله آباد ثم إنه هجر وطنه ولازم الأمكنة المقدسة التي ورد

ذكرها في شخصية راما وأمضى مدة ١٩عاماً من عمره في الطواف والصلاة والابتهال الديني، وقيل إنه لما وصل إلى قرية بالقرب من شاه آباد، أكرمه أهالي أسرة من المزارعين فباركهم تلسي داس وقال لهم: إذا لم ترتكبوا السرقة فسوف تظل أسرتكم وسلالتكم تنعم بالرفاهية والهناء دائماً، وقد تحقق دعاؤه لهم ثم إنه قصد مدينة شتركوت **CHITRAKOT** وقابل بها الشاعر راما جرت سور داس **RAMA CHARITRA MANASA**.

اعتكف تلسي داس بعد ذلك ليؤلف كتبه التي بلغت نحو ٢٠ كتاباً ومن أشهرها راما شتر مانس، ورام جيتا ولي **RAMA GITA WALI** وني بتريكا، ودو هاولي **DOHA WALI** وكريشن جيتا ولي.

والأهم من ذلك نظم الرامايانا شعراً حيث بدأ عمله الأشهر هذا بمدينة ايودهيا **Ayodhya** وهو في سن الثانية والأربعين وأتمها في نحو ثلاث سنين، وقد تضمن العمل ٢٧ باباً و٤٣٤٧ قطعة و١٩٣ قطعة من بيتين، و٨٧ قطعة من ٨ أبيات و٢١٤ قطعة من ٦ أبيات، وقد اعتمد على ما دونه قالميكي من الملحمة، ولما كان تلسي داس قد عاش في عصر نمو الشعر والأدب والفن في عهد أعظم الأباطرة والمغول المسلمين في الهند وهو أكبر شاه فقط اطّلع على الآداب العربية والفارسية، وكان من العارفين باللغتين العربية والفارسية، وقد تأثر بأشعار الفرس لاسيما بأشعار سعدي الشيرازي، ومن بين أصدقائه المسلمين الأمير الشهير والأديب الشاعر عبد الرحيم خان

خانان، ويُعدّ عمله عن الرامايانا أهم أعماله وبقي أثره في نفوس الهنود حتى يوم الناس هذا وقد قال فيه الشاعر طاغور:

(إنه قد بذر في أرواح عامة الناس بذوراً تظل تنمو وتثمر ولن تقل نضرتها على مرور الأيام).

وقال نثار أحمد الفاروقي «يشجعنا تلسي داس على بناء عالم تسوده الراحة والسعادة والحب ولا يؤلم فيه شخص أحداً آخر، ولا تكون النفعية والمصلحة الذاتية والكسل بل يكون فيه العدل والحق. وقد رتب الأجزاء السبعة في راما شرت مانس بحيث تتحلى فيها كل صورة من صور الحياة، وفي الباب الأخير تعرض لبيان رام راج **RAMA RAJYA** أي حكومة راما التي هي صورة مثالية لمجتمع نموذجي».

واهتم الباحثون المسلمون بكتاب تلسي داس وقام السيد محمد حامد خان بكتابة شرح لرامايانا تلسي داس، ناقلاً النصوص الأصلية لتلسي داس باللغة السنسكريتية ولكن بالحرف العربي الذي كان يجيده الشاعر نفسه معقباً ذلك بشرح وتوضيح لمقاصد الشاعر.

وهذه نصوص مختارة من عمله هذا:

بَنَدَوْن كَرُوا يَدْ يَدْم يراكَا　　سُرُجِ سُبَاس سَرَس اَنُراكَا

اَمــيِ مُورِ مَــى جُــوَن جَارو　　شَمنَ سَكَل بَهَورُج يَرِوارو

اعلم أنه لا بد لي قبل تشريح الألفاظ والمباني وتبيين المطالب

والمعاني أن نتكلم شيئاً في وزن هذه الأبيات اهتماماً به لأن علم الشعر (كابيه) وفن العروض (بنكَل) عند أهل الهند من فنون وسيعة كثيرة الأصول والفروع ولعلم القافية (تك) والرديف (تكانت) والأفاعيل (كَن) عندهم ضوابط مشحونة بها الكتب والأسفار، أما البحور أعنى «جهند» فكثيرة جداً، ومنها ما يطابق بحور العربية والفارسية ومنها ما لا يمكن تطبيقها بأوزان هذه الألسنة.

وفي نظم راماين لتلسى داس استعملت عدة أصناف مثل «جوبائى» و«دوها» و«سورتها» وغيرها، وسنذكر أوزانها عند مواقعها. أما الأبيات المتذكرة ففي بحر «جوبائى»، وهذا البحر يطابق الخمسية، وهي التي استحدثها أهل العجم، وأصلها فاعلن فعولن أربع مرات من المتدارك والمتقارب. وأوزانه ثلثة، في الأول ثمانية أركان سالمة وهو الوافي. والثاني اثنا عشر ركناً بغير الترتيب وهو المجز والمضاعف والثالث ثمانية أركان مقبوضاً مخبوناً ومخبوناً مسكناً،

فعول فعلن فعول فعولن   فعلن فعلن فعول فعلن

وهذا البحر يقال له، جويائى باللغة الهندية وأوزانه، استقراء ستة وستين وزناً كلها من الخمسية المذكورة.

يقول الشاعر إني أظهر العبودية لإقدام شيخ الطريقة وترابها فإن التراب الملصق بأرجله فيه لذة حسنة ورائحة طيبة وحلاوة الحب كأنه سفوف النبات الذي يحيي الموتى كماء الحيوة وهذا السفوف

دواء كل داء يشفي عن الأمراض الكائنة في العالم - انتهى.

والشاعر قد أورد في هذا الشعر لفظ العبادة، وأراد بها حسب مجاري عادات الهنادكة والبراهمة، غاية التكريم لأرجل شيخه لا العبادة المحضة المختصة بالله تعالى وتقدس. وتعبر الجملة باللغة الفارسية (بندكَى مى كنم) وهذا ذائع لديهم مقام التحية والتسليم. كما أن لفظ العبد باللغة العربية قد يضاف إلى الله تعالى كما ورد في القرآن الحكيم ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ وقد يسند إلى غيره تعالى كما يقال «خدم الملك وعبيده، كذلك لفظ (بنده) باللغة الفارسية مضاف إلى الله وإلى الناس جميعاً قال السعدى الشيرازى».

كرم بين ولطف خداوند كَنه بنده كرد است واو شرمسار

وهذا مثال إضافة لفظ (بنده) إلى الله تعالى. وأعجب من هذا لفظ «برورد كَار» باللغة الفارسية وترجمته «الرب» باللغة العربية وكانت القدماء يستعملونه لغير الله كما قال الفردوسي في «شاهنامه» حكاية عن قول «يزدجرد» آخر ملوك الفرس لأكابر أنصاره.

شما ياك يروكار منيد همان از يدور يادكَار منيد

وكذلك (السجدة) لله تعالى شأنه كما في القرآن الحكيم ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ ولغيره تعالى كما قال: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس﴾ والمراد هاهنا

سجدة التعظيم لا سجدة العبادة.

وكذلك ﴿الصلوة﴾ إذا تنسب إلى الله تعالى يكون المراد العبادة المختصة له مثل ﴿إن صلاتي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ وحينئذ تكون الصلة باللام، وإذا تنسب إلى غيره تعالى تكون الصلة بعلى ويكون المراد الرحمة والتسليم كما قال: ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ أما كلمة (نماز) باللغة الفارسية فكثيراً ما تستعمل لغير الله تعالى. والفرق بينهما بيّن لا يحتاج إلى البيان، وعلى ذلك هذه الأشعار في بحر مخصوص مترنم مؤلفة بألفاظ فصيحة عذبة وأفاعيل كتغريد الأطيار وقطعات صغار متجانسة كأنها سلسلة قطرات الأمطار فلو أن أحداً يأخذ عوداً ويغني بهذه الأبيات يظهر لك سحر البيان وتدري إعجاز الشعر.

سُكرت ضَمْبهُوتَن بَمل وِبُهوتى مَنْـجُل منْـكَل مُود يَرسَـوتى

جَـنَ مَـنَ مَنْجُ مُكُر مَل هـرنى كئى تلَكَ كَنُ كَنَن بَش كَرنى

يقول الشاعر أن تراب أرجل الشيخ الكامل في الفضيلة كالتراب الملصق بجسم فعال الخير «شمبهرجى» وهو ذو الحسن والجمال الذي يملك السرور والبهجة ويورثها ويطهر الناس وأرواحهم عن الأدناس ويجليها كالمرآة وأن صاحب الإرادة الذي يمسح جبينه بهذا التراب يصير صاحب الكمال ويجد نور العرفان.

وبعد هذا العرض المختصر لتاريخ ملحمة الرامايانا وأهميتها العظيمة في التقاليد الهندية، نقدم لكم هذه الترجمة العربية

لمضامينها راجين أن تروق لكم وتمنحكم مزيداً من المتعة والفائدة.

(١)

عهد الطفولة

❖ كان في قديم الزمان مملكة هندية تعيش في سعادة ورخاء، وكانت تسمى مملكة "كوشال" "Kaushal"، أما عاصمتها فكانت تسمى " أيودهيا" "Ayodhya" أما حاكمها فهو الملك "داشارات" "Dasharath"، وهو ملك صالح وشجاع مقدام محب للخير.

وكان لديه ثلاث زوجات هن الملكات "كوشاليا" "Kaushalya" و"كيكي" "Kaikeyi" و"سوميترا" "Sumitra"،وكن يتمتعن بقسط وافر من الجمال والتقوى والفضيلة، أما الملك "داشارات" فكان يعبد إله الشمس وهو على ما يزعمون من سلالة الآلهة.

وفي كل يوم يقف "داشارات" أمام إله الشمس ويتعبد له مع كاهن عائلته الحكيم " فاسيستا" "Vasishtha" ، وذلك في الصباح الباكر.

كان الملك "داشارات" وزوجته الملكة " كوشاليا " أكبر الملكات

قبل أن يُولداهما الحكيم (كاشياب) "Kashyap" وزوجته (آديتي) "Aditi" وبعد أن تقشفا تقشفاً شديداً ولدا من جديد، وصار اسمهما الجديد (داشارات) و(كوشياب).

❖ تمتع الملك " داشارات " بالرفاه والغنى في الحياة، لكنه لم يكن سعيداً لأنه حرم من الأولاد. ولما أدركه الكِبَرْ توسل إلى الحكيم فاسيستا بقوله:

- "أيها المعلم! هل قدر لي أن أموت دون أن أترك من بعدي وريثاً للعرش؟ وهل تتلاشى مملكتي من الوجود بعد أن أغادر هذه الدنيا الفانية؟".

لكن الحكيم فاسيستا طمأن الملك داشارات بقوله:

- كلا! فسوف يُنعم عليك بالأبناء الذين سيجعلون سلالتك مستمرة".

فسأله داشارات: "ولكن متى يكون ذلك، وقد داهمتني الشيخوخة". فأجابه الحكيم فاسيستا: "عليك أولاً أن تقابل الحكيم "ياجنا Yajna" الذي يهب الأولاد، لتحقق هذه الأمنية".

قال الملك "داشارات " وقد نفذ صبره:

- " إذن فماذا تنتظر؟ عليك أن .... توضّح لي ما يجب أن أعمله.

❖ قال الحكيم فاسيستا: " لا يمكنك أن تتعرف إلى "يانيا" إلى بواسطة الحكيم "شرينجي shringi" وحده، ويجب أن تذهب إليه سائراً ".

فقصد الملك "داشارات" في اليوم التالي، إلى الحكيم "شرينجي"، وركع على قدميه أمامه وتوسل إليه ماداً إليه يديه: "لقد قدمت إليك لأبتهل إليك لتتفضل بتقديمي إلى "ياجنا" الذي يهب الأولاد". فقصد الحكيم شرينجي إلى آيودهيا وقدم هذا المدعو "يانيا"، وبعد انتهاء الطقوس ظهر إله النار شخصياً وقدم بنفسه وعاءاً مليئاً بمزيج مقدس من الحليب والأرز للملك داشارات وقال له:

- " أيها الملك! لقد تحققت أمنيتك، قدم هذا المزيج من الطعام بنسب متساوية إلى ملكاتك، وسوف يباركك الإله القدير".

ثم توراى إله النار عن الأنظار.

....

❖ وبعد أن غادر الحكيم " شرينجي " قصر الملك داشارات، استأذن الحكيم فاسيستا واتجه إلى غرف المعيشة في القصر ونادى زوجاته الملكات، ولما عرفت الملكتان كوشياليا Kaushalya وكييكي Kaikeyi بقدوم الملك إلى قصره، أسرعتا إليه، فقسم الملك داشارات المزيج المقدس إلى قسمين قدمهما إلى الملكتين وقال لهما:

- لابد أن تأكلا من هذا المزيج، وفكرت الملكتان بالملكة الثالثة "سوميترا Sumita"، فأكلتا نصف حصيتهما وقدمتا النصف الآخر إلى الملكة سوميترا.

وبمشيئة الله حملت الملكات الثلاث.

وعندما علم الملك "داشارات " بالأنباء السعيدة عن حمل الملكات

فرح فرحاً شديداً وغمرته السعادة الكبيرة.

....

❖ وبعد مرور فترة من الزمن اقتربت اللحظة السعيدة لمولد الأمراء، ففي اليوم العاشر المبشر بالخير من القمر الطالع في شهر "شيترا " “chaitra” (مارس)، وفي ذلك المساء من الربيع ولدت الملكات الثلاث للملك " داشارات " أربعة من الأولاد.

فقد ولدت كل من كوشاليا وكييكي ولداً، بينما أنجبت سوميترا توأم من الصبيان.

وكان سرور الملك "داشارات" عظيماً حينما سمع خبر مولد الأمراء فشكر الله تعالى وأمر بإقامة الحفلات.

وكانت فرحة الفتيات والوصيفات في القصر عظيمة وأخذ الجميع يركضون هنا وهناك، وأخذت تتردد في المدينة في آن واحد، صيحات وهتافات الفرح وأغاني المرح.

وأُ شعلت مختلف أنواع البخور وأشرق كل مكان بالسعادة والهناء.

....

❖ واستمرت الاحتفالات يوماً كاملاً، وزيّنت المدينة كلها بالأعلام الملونة وزينت الأبواب بالورود ، وأضيئت الأنوار طوال الليل على شرفات وسطوح المنازل، وتقدمت نساء المدينة في جماعات باتجاه القصر، وأخذن بالغناء وهن يحملن الأباريق الذهبية المليئة بالماء المقدس على رؤوسهن.

وبعث الملك "داشارات" رسولاً خاصاً لينقل إلى الحكيم فاسيستا

الأنباء السعيدة، فقدم الحكيم مع ضيف من البراهمة إلى القصر ليبارك الأطفال المولودين، فمنح الملك "داشارات" للكاهن البرهمي الذهب والثياب والبقر، كذلك فقد كرّم الحكيم "شرينجي" أيضاً وطلب بركته.

....

❖ واكتسبت مدينة آيودهيا Ayodhyo جواً من المرح والاحتفالات لمدة شهر كامل، ثم تقرر تعميد الأمراء (تسميتهم)، فطلب الملك "داشارات" من الحكيم فاسيستا أن يقترح أسماء رسمية للأمراء وفكر الحكيم فاسيستا للحظات قليلة ثم قال:

- " أيها الملك العظيم! إن ابن الملكة كوشاليا هو السعادة متجسدة، لذلك يسمى "راما " "Rama"، أما ابن الملكة كييكي فسوف يُعني بالجميع، إذن ليكن اسمه "بهارات" "Bharat"، أما الابن الأول للملكة "سوميترا" فقد ولد ليقضي على الأعداء، لذلك فإن الاسم.. شاتروجنا "Shatrughna" هو أنسب الأسماء إليه.

أما ابنها الأصغر فقد ولد وهو يحمل أحسن الصفات الإنسانية فسيسمى لاكشمان "Lakshman".

....

❖ أما "راما" فقد كان داكن البشرة، ويلبس سلسلة من الذهب حول معصمه وسوار مرصع بالجواهر حول ذراعيه، وكان يبدو ساحراً.

وكان والداه يغتبطان بالنظر إليه وينقطعان عن أي شئ آخر عندما يكون معهما.

وذات يوم بعد أن قامت كييكي بتحسين واغتسال ابنها راما، زينته بخلاخل ذهبية لها أجراس صغيرة، وكان يتدرج في مشيته فيسير خلفه الملك والملكة وهما يشعران بالزهو والخيلاء.

وكانت كوشاليا تناديه لكنه يسرع إلى أبيه بقدميه الصغيرتين، وكان كل من في القصر يستمتع بما يقوم به "راما" من أفعال وألعاب بريئة، وكان محبوباً من الأمهات الثلاث والملك.

....

❖ وكان "لاكشمان" أكثر الأولاد صلةً براما منذ صغره، أما أكثر الإخوة الأربعة من ناحية الجمال فكان راما أيضاً، وإلى جانب ذلك فهو يتمتع بخلق هادئ محبب.

وعندما شب الأمير دعا "داشارات" الحكيم فاسيستا، وهو كاهن العائلة لتقديم العلم لهم، ولذلك بدأ تعليمهم الرسمي.

وبدأوا أولاً بالتدرب على رمي السهام، فكان "راما" يتمرن هو واخوانه فيصوبون سهامهم على الفواكه المنتشرة على أشجار الحديقة.

وعندما اكتسب الأمراء لياقة تؤهلهم لمغادرة القصر للالتحاق بمعبد الحكيم فاسيستا للتعلم، قال الملك داشارات لوزيره " سومانتا" “Sumanta”:

-"الآن، أصبح بإمكان الأمراء البقاء مع الحكيم فاسيستا

وحدهم، أرجو أن تأخذوه معكم ليحصلوا على المعرفة التي تلائمهم".

فقال سومانتا: " كما تأمر ياسيدي!

....

❖ واتجه سومانتا إلى غرفة راما وأخبره عن رغبة أبيه فقال راما:

ـ" أنه لمن دواعي سرورنا أن نطيع أوامر والدنا المحترم".

ـ "إذن اذهبوا وخذوا إذناً من أمهاتكم، فغداً صباحاً ستغادرون أيودهيا مع أشقائكم لتعيشوا في معبد فاسيستا.

وبعد أن قال سومانتا هذا غادر غرفة "راما".

واتجه راما مع إخوته إلى كوشاليا وقالوا لها: " أماه، نريد أن تسمحي لنا بالذهاب إلى صومعة فاسيستا".

وصدمت كوشاليا عندما فكرت ببعدها عن أولادها، لكنها لم تستطع عمل شيء، فقد كان من الضروري المحافظة على تقاليد العائلة، فقدمت للأولاد ألبسه خشنة ليلبسوها بدلاً من الملابس الملكية كما تقضي التقاليد.

وبعد ذلك ودّعت كوشاليا وكييكي وسوميترا الأولاد بعيون دامعة.

....

❖ وبعد أن وصل الأمراء الثلاثة إلى معبد "فاسيستا"، بدأوا بتعلم مختلف فروع المعرفة عند قدمي المعلم الكبير.

وكان الأمراء قد أنصرفوا إلى دراساتهم وخدموا الحكيم بتواضع

خالص بعد أن درسوا الفيدا (وفيه مجمل معتقدات الدين الهندوسي) قال لهم الحكيم فاسيستا:

"إن هذا العالم صنعه ثلاثة براهما "Brahma" المبدع وفيشنو "Vishnu" الحامي وماهش "Mahesh" المخرب".

وبحسب الاعتقاد الهندوسي أيضاً فانّ "حياة الإنسان مقسمة الى أربعة أقسام":

القسم الأول من مولده حتى سن الخامسة والعشرين ويدعي براهما شاريا "Brahmacharya"، والقسم الثاني من سن الخامسة والعشرين حتى الخمسين، وهو مخصص لتكوين الحياة العائلية، ويسمى جريهاستا "Grihastha"، أما خط الحياة فهو من الخمسين إلى الخامسة والسبعين ويعرف باسم "فانا براسا" "Vanaprastha" ويعنى ترك الأمور الدنيوية، والمرحلة الأخيرة هي شمنياس "Samnyas" أو مغادرة الحياة.

....

❖ وكان الحكيم فاسيستا بالإضافة إلى تقديمه الحكمة في العالم لراما واخوته، يشرح لهم الأمور الدينية والروحية أيضاً، فكان يقول لهم:

- " إن كل بني البشر لديهم ثلاث صفات من طبيعتهم وهذه الصفات تسمى " الخير" سات "Sat"، والزمني "تاماس" "Tamas" و"راجاس" "Rajas" الملكي.

فالخير أو (سات) يقود الإنسان إلى التقوى وحب الله في حين أن

تاماس يقود نحو المتع الدنيوية، أما راجاس فهو يجعل الناس كالنبلاء عظماء.

ولكي يكون الملك ناجحاً عليه اتباع ثلاثة وسائل هي " ساما" "Saama" أي السلام وداما "Dama" أي (السلطة) وداندا "Danda" (العقاب) وبهيد "Bhed" (التفرقة).

....

❖ وشرح لهم فاسيستا تكوين الجسم البشري فقال: إن الجسم يتكون من خمسة عناصر: الماء، الهواء، الفضاء، التراب والنار.

وقال لهم إن الإنسان هو أرقى الكائنات الحية.

وعلم الحكيم فاسيستا الأمراء معنى الأخلاق والفضيلة، وقال:

- يجب أن ينال المرء تقديراً من والديه ومعلمه أو مدربه.

وليس المقصود هو طاعتهم فقط إلى الأبد، بل يجب أن تخدمهم بحب واحترام، وإن التزام الصدق هو أول الواجبات الدينية، فيجب على الإنسان ان يكون صادقاً، أما الحب والعطف فيجعلان من الإنسان أعظم الكائنات وأما الكراهية فهي السبب الأصلي لكثير من الخطايا.

قال راما وأصدقاءه بعد أن جثوا تحت قدمي معلمهم الحكيم فاسيستا: " أيها المعلم العظيم! نُقْسِمُ جميعاً أن نعمل وفقاً لتعاليمك، ولن ندع طريق الحق أبداً مهما كانت الأسباب.

❖ وبعد أن أتم الأمراء تعليمهم الرسمي قرر الحكيم فاسيستا أن يعلمهم شيئاً عن واجبات الحاكم فقال لهم:

- أنتم جميعاً أمراء، وإذا لم تتعلموا كيف يكون الملك وكيف يجب أن يعيش فسوف يكون تعليمكم غير كامل، فالحقيقة أن هناك فرقاً كبيراً بين الحاكم ورعيته، لكن هذا لايكمن في معيشتهم، فالملك أعظم من رعيته كما أن مهامه أشق وأهم من مهام شعبه.

فسأله راما: وما هي هذا المهام؟

- عليكم أن تتذكروا أن رعاية شعبكم وحمايته هي أول واجباتكم، ثم عليكم بالإضافة إلى ذلك أن تكونوا عادلين تجاه الجميع!.

....

❖ وفكر الحكيم فاسيستا في أن الأمراء قد أكملوا تعلميهم، فأرسل إلى الملك داشارات رسالة، لكي يقوم بترتيب امر عودتهم الى آيودهيا، وعندما أستلم الملك داشارات الرسالة تشوق لرؤية أبنائه، ونادى في الحال وزيره سومانتا وقال له:

- عزيزي سومانتا! لقد أعلمنا الحكيم فاسيستا بأن الأمراء قد أتموا تعليمهم ويستعدون لمغادرة صومعته، أرجوا أن تتوجه إلى هناك وتحضرهم في أقرب وقت ممكن.

قال سومانتا: كما تريد يا صاحب الجلالة!

وأضاف الملك "داشارات" بسرعة: أرجو أن تأخذ معك الملابس الملكية المناسبة للأمراء".

فدخل سومانتا إلى القصر وطلب من الملكات أن يعطوه ملابس

ليأخذها للأمراء.

....

❖ وفي اليوم التالي، غادر الوزير سومانتا قصر الملك " داشارات " واتجه إلى معبد الحكيم فاسيستا في العربة الملكية حاملاً معه ملابس الأمراء.

ولما وصل إلى المعبد قدم سومانتا احتراماته وتحياته إلى الحكيم بأيدي ممدودة وأخبره بالغرض من زيارته.

وبعد أن حيا الحكيم فاسيستا الوزير "سومانتا" وسأل عن أحوال الأسرة الملكية دعا الأمراء وقال لهم: " لقد قدمت لكم جميعاً كل ما أستطيع من معرفة وعلم، وهاهو سومانتا قد اتى ليعود بكم إلى آيودهيا.

فقال له الأمراء: سمعاً وطاعة ياسيدي!، وأخذوا ملابسهم من سومانتا ودخلوا إلى كوخهم، وظل الحكيم فاسيستا والوزير سومانتا يتجاذبان أطراف الحديث والأمراء بعيدون فترة من الزمن.

❖ وعندما خرج الأمراء بعد فترة قصيرة من كوخهم وهم يلبسون ملابس الأمراء، وكان كل شيء يبدو من حولهم بارقاً لامعاً، قالوا للحكيم فاسيستا وهم يمدون أيديهم:

ـ "نحن أبناء الملك "داشارات" نطلب الإذن منك لنعود إلى بيتنا، ولاشك أننا قد أكتسبنا منك الحكمة والمحبة التي لم يكن لأحد أن يقدمها لنا غيرك.

ووجه الحكيم فاسيستا تعليماته إليهم كمعلم لآخر مرة فقال:

ـ أبنائي! عودوا إلى والديكم، واخدموهم أفضل خدمة واعملوا لمرضاتهم، أحبّوا الجميع، ساعدوا الفقراء والمحتاجين.

ـ لن ننسى أبداً تعاليمك ونصائحك ونتمنى ان تمنحنا بركتك لكي نثبت أننا أهل لثقتك.

ولما قال الأمراء الأربعة هذا القول انحنوا الى الأمام حتى لامست اجسامهم الأرض احتراماً لمعلمهم، وما لبثوا أن غادروا متجهين نحو آيودهيا.

❖ ولدى عودة الأمراء راما وبهارات وشاتروجنا ولاكشمان إلى آيودهيا بعد غياب عدد من السنين، ذهل أولئك الذين حظوا برؤيتهم وجمال وجوههم التي تشبه وجوه الملائكة، وقد شعروا بالسرور والسعادة لمرأى الأمير راما، وكان الجميع يحبونه أكثر من أنفسهم، وقد كان يُستقبل في كل مكان بالورود بأغاني الثناء، وكان كل طريق يسير فيه موكب راما تتردد فيه هتافات الترحيب، وعندما وصلت أخبار عودة الأمراء إلى القصر إلى الملكات كوشاليا وكييكي وسوميترا، جنَّ جنونهم من الفرح، فخلعت الملكة كوشاليا قلادتها المزينة بالجواهر من عنقها، وأعطتها للوصيفة التي نقلت لها النبأ كمكافأة لها.

....

❖ وكانت الأمهات شديدات الشوق إلى لقيا أبنائهن، كذلك لم يستطع الملك داشارات أن يضبط نفسه، فقد كان حبهم بارز على وجوههم.

وأخيراً دخل راما وأشقاءه إلى القصر، فلمسوا قدمي والدهم داشارات، ثم تكلم بتواضع: "والدنا المحترم!، أنا ابنك راما أقدم لك احتراماتي".

فقال الملك داشارات: "راما يا ولدي"، ثم أخذ راما بين ذراعيه، وقال اذهبوا يا أولادي! أذهبوا إلى أمهاتكم فهن ينتظرنكم بفارغ الصبر".

فقال الأمراء: نعم يا أبي ثم توجهوا إلى غرف أمهاتهم للقياهم، وكان الأضطراب واضحا عليهم أيضاً ...

وعندما وصل الأمراء الفتيان إلى جناح والدتهم الملكة كوشاليا، فقدت أعصابها لدى رؤيتهم وأغمي عليها لشدة الفرح حتى أنها نسيت أن تحييهم، أما كييكي، فقد أخذت راما بين ذراعيها قبل أن يتمكن من لمس قدميها وصاحت:

"ولدي! ولدي! ها قد عدت".

واغرورقت عيناها بدموع الفرح والسعادة.

وربما شعرت الآلهة بالحسد من استقبال راما بين يدي أمه كييكي. لقد التقت الأمهات بأبنائهن بعد سنوات عديدة من الفراق، ففقدن شعورهن لهذا الحدث السعيد وأخذن يقبلن أولادهن الامراء كما لو كانوا أطفالاً صغاراً.

....

❖ واحتفل في ذلك اليوم كما لو كان عيداً، فقدم الملك داشارات الهبات والحسنات بكرم وسخاء، واعطى لكل شخص ما يرغب

فيه، فوزعت أعداد هائلة من البقر والجياد وكميات غير محدودة من الذهب والملابس على البراهمة وغيرهم.

وسُرّ كل شخص من كرم وسخاء الملك داشارات فأخذ الناس يدعون للأمراء بطول البقاء، وكان يبدو أن هذه المناسبة مناسبة غير عادية.

وبعد بضعة أيام، بدأ راما في أداء مهماته وواجباته وكان أول شيء يفعله في الصباح هو زيارة والده ووالدته وطلب مرضاتهم، ثم كان ينظر في شؤون المملكة، وأصبح الملك داشارات كثير الرضا على تصرفات "راما".

(٢)

الحكاية الثانية

❖ هناك في الأودية البعيدة قرب مدينة (آيودهيا)، كانت توجد غابة يقع فيها معبد الحكيم فيشواميترا " Vishwamitra الذي كان يقوم بالعبادات والطقوس الدينية ومنها اليوغا.

وكان الشياطين (Rakshasas) ومنهم ماريش (Marich) وسوباهو (Subahu) يزعجون الحكيم بارتكابهم المذابح في المعبد، وقد زاد طغيان هؤلاء الأشرار فطلب المتعبدون والحكماء من الحكيم فيشواميترا " أن يعمل شيئاً لمواجهة طغيانهم.

فأبدى فيشواميترا لزملائه استعداده التام للاتصال بالملك " داشارات " ملك آيودهيا، والاستنجاد به، وفي اليوم التالي بينما كان الملك داشارات في بلاطه إذا بأحد الحراس يدخل عليه ويقول: "ياجلالة الملك! لقد أتى الحكيم فيشواميترا لملاقاتك".

❖ ولما علم الملك داشارات بالأمر ارتبك واتجه بنظراته نحو الحكيم فاسيستا، فقال له فاسيستا: " لا داعي للقلق، لعل زيارته تبشر بالخير، أرجو أن ترحب به ".

فأذعن الملك لكاهن الأسرة وذهب لاستقبال فيشواميترا الذي

بادره بالقول:

- " لقد أحدث (الشياطين) الراكشاساس Rakshasas متاعب وقلاقل فلم يعد باستطاعتنا أن نقوم بالمراسم الدينية والعبادات، إنهم يلقون العظام والقاذورات في النار المقدسة وينتهكون حرمتها ".

❖ واستطرد الحكيم فيشواميترا قائلاً:

- "نحن معشر الحكماء والمتصوفين نريد أن توفر بنا الحماية والأمن".

فقال الملك داشارات: " كفوا عن القلق أيها الشيوخ! فسوف أرسل جنودي لقتل أي من الشياطين يقترب من معبدكم، وإذا تطلب الأمر فسوف أذهب أنا أيضاً، فيمكنكم أن تثقوا بي".

فقال فيشواميترا: كلا، لن يكون لجندك أي فائدة، أرسل راما ولاكشمان معي، عندئذ سيكون كل شيء على مايرام.

فاحتار الملك داشارات في أمره، وثار غاضباً ثم قال: الشياطين؟

- "وكيف يمكن لهذين الغلامين أن يقاتلا الاعداد الهائلة؟"

فغضب فيشواميترا، وقال بحنق:

- " لك الحرية في أن ترفض هذا إن أردت، ثم نهض وغادر المكان".

❖ وعندما رأى الحكيم فاسيستا أن فيشواميترا قد أنزعج، توسل إليه ألا يضطرب، وطلب منه أن يجلس ويهدأ، قائلاً: أرجو منك أن تهدأ تماماً.

فقال الحكيم فيشواميترا: لماذا لا تطلب من الملك داشارات ألا

يجادلني بل يفعل ما أقوله له؟

فقال الحكيم فاسيستا للملك داشارات: " أيها الملك! لا تكن عبداً للحب الأعمى والجهل، دع راما ولاكشمان يرافقا الحكيم فيشواميترا إلى الغابة، فسوف يتعلما هناك الشيء الكثير".

فزالت مخاوف داشارات ونادى في الحال ولديه راما ولاكشمان ثم سلمهما إلى فيشوميترا وقال: أرجو كما أن تعذراني فقد كنت مخطئاً، وسيكونا من الآن فصاعداً تحت أمركما ".

❖ وقال الحكيم: فيشواميترا مطمئناً الملك داشارات:

ـ "ليس هناك ما يدعو للقلق فسوف يعود ولداك أكثر تجربة وغنى من هذه المرحلة".

ثم قاد راما ولاكشمان واتجها خارج القصر، وبينما كانوا في طريقهم إلى معبد فيشواميترا، اعترضتهما " تاراكا" Taraka وهي شريرة من الشياطين، فقد اشتاقت إلى أكل الأميرين الشابين عندما شاهدتهما برفقة الحكيم فأسرعت نحوهما.

لكن فيشوا ميترا حذر راما قائلاً:

ـ "حذار، حذار! إنها تاراكا " التي تروع الغابة".

وفي الحال قتل راما تاراكا بسهم أطلقه عليها من قوسه، وفي المعبد أخذ الحكيم فيشواميترا يدرب الأخوين على استعمال الأسلحة الإلهية، وبعد ذلك التدريب أصبحوا على أهبة الاستعداد لمحاربة الشياطين.

❖ قال راما للحكيم فيشوميترا:

- "سيدي المحترم! الآن يمكنك أن تقوم بالطقوس الدينية دون أي خوف".

فقال الحكيم: باركـكم الله وأطال أعماركم، ثم انغمس في الطقوس مع زملائه، من النساك والمتعبدين.

ولما وصلت الأنباء إلى ماريش Marich وسوباهو Subuhu بقتل تاراكا، جنّ جنونهما من الغضب ووصلا إلى المعبد ليدنساه، فبدآ كعادتهما برمي لحوم وعظام الحيوانات الميتة في النار المقدسة.

فأطلق راما في الحال سهماً دار حول المذبح المقدس بسرعة بحيث شكل مظلة واقية للنار وفشل الشياطين في محاولتهم إزعاج المتعبدين، وتدنيس مكان عبادتهم.

❖ لكن ماريش وسوباهوا مالبثا أن عادا بعد ستة أيام بأعداد هائلة من أتباعهم وصمموا على تدنيس المكان المقدس من جديد.

وكان راما ولاكشمان في ذلك الوقت يقفا بتيقظ لحراسة المكان، وعندما شاهدا الشياطين يلقون القاذورات والعظام في النار المقدسة من أعلى، فقد راما صوابه وقال للاكشمان: " لن يصلح هؤلاء ولن يكفوا عن أذاهم إلا اذا نالوا عقابهم".

فقال لاكشمان وقد جهز رمحه للتصويب: " اسمح لي أن أقتلهم جميعاً ".

فقال راما: "حسناً! تقوم أنت بمشاغله ساباهو أما أنا فسيكون ماريش ضحيتي".

ثم سحب راما قوسه وفي الحال أصيب ماريش بالسهم الذي طوح به

وألقاه في المحيط على بعد مئات الأميال، أما ساباهو فقد قتله لاكشمان.

❖ وعاد المتعبدون لممارسة طقوسهم الدينية دون أية إزعاج، وبعد بضعة أيام تسلم فيشواميترا دعوة من الملك جاناك (Janak) ملك بلدة ميتيلا (Mithil)، ليبارك ابنته سيتا (Sita).

فقال الحكيم للشقيقين:

- " لقد طلب مني الملك جاناك Janak أن أبارك ابنته سيتا، التي سوف يقام احتفال Swyamwar من أجلها، وأريدكما أن تصحباني إلى هناك".

قال راما ولاكشمان بتواضع: " لنا الشرف في أن نطيع أوامرك".

وبينما هم في طريقهم إلى ميتلا، شاهدوا في الغابة كوخاً مهجوراً، وأمامه قطعة كبيرة من الحجر، فسأل راما الحكيم فيشواميترا عن هذا الحجر، وعن سر الكوخ المهجور.

قال فاسيستا "إن هذا الحجر تمثال لأهيليا Ahilya زوجة جو تام Gautum التي لعنها الإله فتحولت إلى قطعة من الحجر".

❖ ولما طلب راما من فيشواميترا أن يروي له حكايتها قال:

- " كانت أهيليا امرأة رائعة الجمال، وذات يوم دخل إله القمر الذي سحر بجمالها غرفة زوجها في غيابه، لكن أهيليا لم تتعرف عليه، وبينما كان إله القمر يغادر الكوخ عاد جو تام، فما رآه انزعج ولعن أهيليا فتحولت إلى حجر، ومنذ ذلك الحين وهي جالسة في انتظار كما لتحريرها من اللعنة بلمسة واحدة من

قدميكما ".

وفي اللحظة التي لمس فيها راما الحجر عادت المرأة إلى الحياة وبدت شابة جميلة هي (أهيليا)، فقالت وهي تغسل قدمي راما بدموعها:

- " لقد كنت مخطئة، وقد خلصتني من الخطيئة، فلا شك أنك إله قد تجسد في شكل بشري". ثم أنها عادت إلى السماء.

❖ وفي بلدة متيلا عاش فيشواميترا في حديقة جميلة مع كل من " راما " ولاكشمان وأتى الملك جاناك " ليصافحهما فباركه الحكيم وأخبره عن راما ولاكشمان أولاد الملك.

وفي اليوم التالي دعى الملك جاناك الحكيم فيشواميترا أبناء الملك داشارات إلى صالة الاحتفالات، حيث سيقام احتفال.

وعلى إحدى المنصات وضع قوس الإله شيفا Shiva، الذي لم يكن باستطاعة أحد أن يطلب يد سيتا مالم يتمكن من ربط وتر القوس أولاً، كذلك فقد أحضرت سيتا إلى الصالة ترافقها الوصيفات والصديقات، وأعجب الجميع بجمالها الخلاب، وتأهبوا لافتتاح الحفل، فأشار الملك إلى الشاعر الملكي أن يعلن بدء الاحتفال.

❖ وأعلن الشاعر الملكي قائلاً:

- " أيها الأمراء الشجعان!؟ إن هذا قوس الإله شيفا Shiva، ليس فقط شديد الثقل لكنه شديد الصلابة لا ينحني أبداً، فقد حاول محاربون أشداء مثل رافان Ravan وفاناسور Vanasur أن يرفعوا هذا القوس مقدار بوصة واحدة، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك.

ومن يتمكن من ربط وتر القوس يصبح زوجاً للأميرة سيتا".

وقد حاول كثير من الأمراء والملوك ذلك لكنهم فشلوا، وكان على أولئك الذين افتخروا بقواهم الجسدية أن يواجهوا مذلة الفشل، أما الأغبياء فقد جعلوا من أنفسهم أضحوكة، وأما أولئك الذين اتسموا بالنضج والحكمة فلم يحاولوا.

وزاد قلق الملك "جاناس" فقد خشي أن يسبب بقسمه أذى لابنته سيتا، فأحس بانه مذنب.

❖ ولما أصيب جاناك بخيبة الأمل غضب غضباً شديداً وقال:

- " لقد أتى كل هؤلاء الملوك والأمراء الكبار منهم والصغار من بلاد مختلفة وجزر بعيدة، أليس غريباً أنه لا يوجد بينهم من يستطيع كسب يد، سيتا أبنتي، إنني لا أفهم السبب في إخفاقكم وعدم استطاعتكم حتى تحريك القوس، وقد أصبحت مقتنعاً الآن بعدم وجود رجل شجاع على وجه الأرض، فلا يظن أحدكم نفسه مقداماً، والآن أرجوا أن تغادروا هذا المكان، ربما قَدَرُ على ابنتي أن تعيش وتموت دون زواج، وإنني ألعن نفسي لأنني أقسمت على عدم تزويجها إلا ممن يربط القوس، وهذا شرط مستحيل وصعب، فأنا مسؤول عن الحظ السيء الذي لحق ابنتي، بل إن الآلهة وأنصاف الآلهة الحاضرين هنا أظهروا عجزهم عن تقديم العون لنا.

❖ ولما سمع لاكشمان كلمات الإهانة التي تفوه بها الملك جاناك، لم يستطع ضبط نفسه فقال: لا يجرؤ أحد على أن يتكلم بمثل

هذا الكلام في أي اجتماع يحضره أحد من سلالة راجهو Raghu، ويجب أن يعلم الملك "جاناك" هذا، وإنني أعلن بكل تواضع أنني سأدير هذا العالم ككرة، وهذا القوس القديم يعد شيئاً تافهاً بالنسبة لي".

وأحدث صوت لاكشمان الذي يشبه زمجرة الأسد رعباً في نفوس الأمراء والملوك الموجودين، لكن راما هدأ من روع لاكشمان وطلب منه الجلوس، وابتسم الحكيم فيشواميترا وقال راما: انهض واربط وتر القوس حتى يرتاح الملك جاناك ويهدأ غضبه".

فنهض راما وانحنى، أمام الحكيم ثم سار باتجاه المنصة وأخذ يحاول الإمساك بالقوس.

❖ عندما نظرت سيتا Sita إلى وجه راما البرئ الذي يشبه وجه الطفل شعرت بالقلق وقالت لزوجة أخيها:

- " أيتها العزيزة! لماذا لا يقول أحدكم للحكيم بأن راما ما زال طفلاً، فكيف يتوقع منه أن يربط قوس الإله شيفا Shiva.

فأجابت: كلا أيتها الأخت!، لا تنقصي من قدر الحكماء النساك، ألا تعلمي أن الحكيم أجاستيا Agastya قد جفف المحيط؟ إن الآلهة مثل براهما وفيشنو وما هش Mahesh يبدون أمام تعويذة صغيرة.

وكانت سيتا في الوقت نفسه، تصلي للإله شيفا لينعم على راما بالنجاح وأن يخفف من وزن القوس، وفي تلك اللحظة بالذات التقط راما القوس كأنه لعبة وسحب الوتر ليربطه إلى الجانب الآخر من

القوس.

❖ وعندما حاول راما أن يميل القوس ليتمكن من إيصال الوتر إلى الطرف الآخر انكسر إلى قسمين وأحدث صوت انكساره دوياً هائلاً، وسمع صوت القوس يتردد في القاعة، واضطر كل شخص أن يضع أصابعه في أذنيه من شدة الصوت، وذهل الجميع، لكن الملك جاناك، كان شديد السعادة. وألقى راما بقطعتي القوس على الأرض فتلاشى جو الحزن، وبدأ العازفون في عزف الموسيقى على آلاتهم الموسيقية، أما الفتيات فقد قدمن الرقصات الجميلة ابتهاجاً بانتصار راما.

وترك الملك جاناك في الحال عرشه ووقف أمام راما ثم قال:

" لقد أنقذت يا راما شرفي واشكرك على هذا ".

❖ ولما وصل صوت الانفجار الذي حدث من انكسار قوس الإله شيفا إلى أسماع الحكيم الكبير بارشورام Parshuram حكيم مملكة بهريجو Bhrigu، جاء في الحال إلى مكان الحفل وتصدى لذلك الذي يريد له الموت بكسر القوس، وحاول الملك جاناك " أن يهدئ من روع بارشورام، لكنه لم يكن مستعداً لسماع أيه حجة، وقال: " أخبرني عن أسم الشخص الذي تجرأ على كسر قوس الإله " شيفا" وإلا أهدم هذا الكوكب، فظل الملك " جاناك " صامتاً لكن راما قال:

- " أيها البرهمي المحترم! ربما كان هذا الشخص من المخلصين لك".

فقال "بارشورام" بغضب " كلا، لا يمكن، إن هذا الشخص الذي كسر القوس عدوي، ولن أدعه على قيد الحياة ".

❖ فابتسم " لاكشمان" عندما سمع تهديد "بارشورام " ، وقال:

- " إننا نذكر المرات التي كسرنا فيها أقواساً عادية مثل هذا القوس في طفولتنا، لكنك لم تغضب في ذلك الوقت، فما الذي يزعجك الآن؟ هل هناك شيء جديد"؟

فأجاب "بارشورام": أيها الأحمق! ألا تعلم أنك تقف أمام الموت؟ إن هذا القوس ليس قوساً عادياً فهو قوس الإله شيفا الذي لا يمكن لأي إنسان ان يحركه قيد أنملة.

قال لاكشمان: " إننا لا نرى فرقاً من هذا القوس وبين أي قوس آخر فقد كان قوساً قديماً، وقد كسر بلمسة واحدة من شقيقي راما، فكيف تلومه على ذلك "؟

فأجاب " باراشورام" بسرعة:

- " إنني معروف كمحطم لكشاترياس Kshatriyas، فأغلق فمك وأنقذ حياتك".

❖ قال لاكشمان:

- " أيها البرهمي العظيم! لقد تحملنا كلامك لأننا نأبى أن نؤذي " كلاً من الآلهة والبراهمة والأولياء والبقر، فأرجو منك أن لا تثير غضبي وعندئذ ثار بارشورام وصاح قائلاً:

- "يافيشواميترا، إن هذا الفتى ليس غبياً فقط بل إنه متعجرف وقد كنت متساهلاً حتى الآن لسنه الصغيرة".

وبعد أن قال هذا ، رفع فأسه وهجم على لاكشمان فوقف راما في وجه بارشورام بيدين ممدودتين، وطلب منه أن يصفح عن " لاكشمان"، فقد اعترف بأنه مذنب وقال لبارشورام:

. " أنا خادمك المتواضع فكيف أحاربك، وإلا فإننا معشر الراجهوفانشيس Raghuvanshis نحارب الموت نفسه ".

ثم أعطى بارشورام قوسه إلى راما كي يسحب وتره، ولما قام راما بذلك أدرك " بارشورام " أن راما لم يكن شخصاً عادياً، فانحنى أمامه احتراماً وتقديراً.

❖ عندما وجد الملك جاناك " أن بارشورام هدأ، أومأ لصديقات سيتا Sita كي يأتيا بها إلى راما، ولما اقتربت سيتا من راما، نظرت إليه ووضعت إكليلاً من الورد حول عنقه، وكان هذا دليل على اختيارها لراما زوجاً لها.

وبارك بارشورام " كلاً من راما وسيتا، وبعد أن حيا راما غادر القاعة. وأنزلت الآلهة من السماء الأزاهير على الزوجين فكان هذا دليلاً على مباركتها لهما، ثم قال جاناك للحكيم فيشوميترا ":

. أيها الملك!، أرسل رسولاً إلى آيودهيا ليخبر الملك داشارات كي يأتي إلى هنا من أجل الاحتفال الرسمي بالزواج، وفي الحال أرسل جاناك رسوله إلى آيودهيا ".

❖ وبعد أن وصل رسول " جاناك " إلى آيودهيا لم يأخذ وقتاً طويلاً في الاجتماع بداشارات وفي نقله الأخبار السعيدة باختيار سيتا لراما زوجاً، ففرح الملك داشارات فرحاً عظيماً وأخبر الملكات

بالأخبار السعيدة، وفي الحال أتى بهارات وشاتروجهنا مسرعين لدى سماعهما بالأنباء السارة، فطلب داشارات من بهارات أن يقوم بإعداد الترتيبات لإقامة حفل الزواج في ميتيلا، فقال بهرات وشاتروجهنا: " سمعاً وطاعةً ".

ثم انهمكا في العمل، وبدأت في الحال التزيينات، فزينت الفيلة والجياد والمركبات التي تحملها الفيلة والجياد.

وفي اليوم التالي وصل داشارات مع كاهن العائلة فاسيستا والأقارب ورجال البلاط وبعض الأهالي الى ميتيلا.

❖ وانبهر الناس في ميتيلا بفخامة حفل الزواج، ورحّب الملك جاناك وعائلته بالملك داشارات وغيره من أهل العروسين ترحيباً شديداً، وصحبوا الضيوف إلى القصر حيث بدأت مراسم الزفاف، وبعد أن وصل الملك " جاناك"، طلب من كاهن الأسرة شاتانندا Shatananda أن يعقد القران، ثم قال:

- " أرجو منك أن تقوم بنفس المراسيم فتزوج الأخوة الأربعة في نفس المعبد".

وهكذا تزوج لاكشمان أرميلا Ormila وهي الأبنة الثانية لجاناك، وتزوج بهارات وشاتروجهنا من ماندافي Mandavi وشروتيكرتي shratikirti، أبنتا الأخ الأصغر لجاناك ويدعى كوشادواج Kushadhwaj.

❖ وبعد انتهاء الاحتفال قدم جاناك صناديق ملآى بالمجوهرات والملابس وغيرها من الأشياء القيمة الثمينة لبناته وبنات أخيه، ولما

جاء وقت مغادرة العرسان انفعل جاناك وترقرقت عيناه بالدموع، وقال للملك داشارات: ـ

ـ " يا ملك الملوك، إننا نشعر بأننا محظوظون لارتباطنا بهذه القرابة، وهذا ما يشرفنا كثيراً. أرجو منك أن تعتبرني خادماً لك وسوف تعذرنا على أية هفوة تصدر منا أثناء إقامتك لدينا، أخي العزيز، إنني أعتبر نفسي محظوظاً لأنني أصبحت مقرباً لملك مثلك له مرتبة النبلاء والأشراف.

ثم غادر موكب الزفاف الملكي متيلا، ووصل إلى ضواحي آيادهيا.

❖ وأعدت المدينة عدتها لاستقبال الملك والأمراء والعرائس، وزينت المنازل والدكاكين والشوارع والميادين بالزهور والرايات، وكان الجميع يحتفلون بالمناسبة.

وقبل دخول المدينة صلى داشارات للإله كما نصحه حكيم العائلة فاسيستا، أما كوشاليا وكييكي وسوميترا فقد وقفن أمام البوابة الرئيسية للمدينة يحملن أطباق من الذهب ملآى بالزهور والحلوى ووقفن هناك لاستقبال أبنائهن مع زوجاتهم وبعد أن حيتهم كييكي قدمت كمية من الحلي والذهب والملابس إلى البراهمة وغيرهم هدية لهم، ثم استقبلت العرائس في القصر تصحبهن المغنيات اللواتي أنشدن الأغاني الجميلة.

....

قصة آيودهيا

- ١ -

❖ زينت آيودهيا زينة كبيرة للترحيب بالعرائس، واستمرت الاحتفالات والأفراح شهراً، وبعد بضعة أيام أرسل جدى بهاراتا دعوة له لزيارة آيودهيا فذهب بهاراتا مع شقيقه " شاتروجهنا" لرؤيتهما، وذات يوم بينما كان الملك داشارات يلبس تاجه أمام المرآة، شاهد بضع شعرات بيضاء اللون في رأسه بالقرب من أذنيه، فاستغرق في تفكير عميق وشعر بدنو أجلهِ فقال:

- " لقد بدأ غروب حياتك أيها الملك العظيم! لقد حان الوقت لتترك العرش وتعيش حياة الزهد والتقشف، لتتصرف إلى التأمل والتفكير، وقد أصبح ابنك رام الآن قادراً على إدارة المملكة بنفسه، كما أنه محبوب من الشعب ومتدين يخاف الله، وهو جدير بأن يتوج بدلاً منك ".

❖ توجه الملك داشارات بعد ذلك إلى معبد فاسيستا كاهن العائلة ليسأله النصيحة حول تتويج راما، فقال له: " أريد أن تنصحني

بشأن أمر هام جداً، أيها الناسك الوقور، إنني أشعر بأن رام قادر على تحمل أعباء إدارة العرش وأنا أفكر في ترك العرش لأقضي بقية عمري في التكفير عن أخطائي؟

قال الناسك:

يا لها من فكرة عظيمة! ولكن لا يمكنك تقرير شيء بشأن التتويج إلا بعد استشارة النبلاء الأعيان في المملكة.

قال الملك: نعم، أرغب في هذا، وسوف أعود إلى آيودهيا وأطلب إلى رجال البلاط أن يجتمعوا لأتخاذ قرار بهذا الخصوص، وأرجو منك أن تبارك اجتماعنا بحضورك.

❖ وفي اليوم التالي دعا الملك داشارات" إلى اجتماع النبلاء، وكان الحكيم "ڤاسيستا" حاضراً أيضاً.

وخاطب الملك رجال البلاط بقوله:

- " لقد أدرت شؤون المملكة سنوات عديدة، وكنت أحافظ دوماً على تقاليد آبائنا وأجدادنا، لكنني كبرت في السن وأريد أن أسلم إدارة شؤون المملكة لأبني الأكبر راماRama ، وقد عقدنا هذا الاجتماع لنعرف آراءكم، فإذا وافقتم على ما أراه فإنني أعلن أن راما هو خليفتي في الملك، وسوف يتم تتويجه ملكاً ".

فقال النبلاء: نؤيد قرارك أيها الملك!

وقد أيد الحكيم فاسيستا أيضاً هذا القرار، وقال بأن راما متسامح كالأرض حكيم كالإله بريهاسباتي Brihaspati، شجاع مثل آندراIndra.

❖ وبعد أن حصل الملك "داشارات" على موافقة رجال البلاط، أرسل في طلب ابنه راما وأعلن له قراره فقال:

- " أي بني! لقد أصبحت شيخاً ضعيفاً، وأريد منك أن تستلم زمام الحكم الآن".

فأجاب راما: "سمعاً وطاعة ياوالدي العزيز".

وانحنى أمام الملك الذي عانقه بتأثر، وفي الوقت نفسه طلب حضور الحكيم فاسيستا ليبحث معه في تحديد يوم التتويج.

فاقترح الحكيم فاسيستا أن يكون التتويج بعد يومين وبعد ذلك انفض الاجتماع.

....

❖ انتشرت أنباء تتويج راما كالنار المتوهجة ورحب الناس في المدينة بهذه الأنباء وهتفوا: النصر لرام، يعيش رام.

ووصلت الأنباء السعيدة إلى الملكات الثلاث زوجات الملك " داشارات" فقدمن الهدايا إلى كل من حمل لهن هذه الأنباء، واجتمعن في فرح عظيم.

أما "سوميترا" وهي الملكة الوسطى فقد وزعت الأحجار الكريمة على عمال القصر بينما قدمت " كوشاليا" الهدايا السخية إلى الخدم.

وطلب الملك من الحكيم فاسيستا أن يذهب إلى جناح " راما" الخاص بالقصر ويقدم له التعليمات حول حفل التتويج.

واستقبل الحكيم فاسيستا في القصر من قبل راما وزوجته "

سيتا"، وجلس الجميع يتجاذبون أطراف الحديث بفرح وسرور.

❖ مد راما يداه إلى الحكيم فاسيستا وقال له:

- إن زيارة المعلم للتلميذ مصدر سرور كبير له، لأنها تزيل عنه كل أحزانه، لقد طلبت مني أن أنفذ رغبتك أيها الناسك الكبير! وإن تنازلك بزيارتي شرف كبير لي، وقد تركت زيارتك في نفسي أثراً عظيماً فاطلب مني ما تشاء وأنا على ثقة من أن كل ما تطلبه يعود عليّ بالفائدة.

قال فاسيستا:

إن والدك اختارك خليفة له والاستعدادت ليوم تتويجك تجري حالياً فأرجو منك ضبط النفس والتحلي بالحكمة والصبر حتى تنتهي الحفلة على خير".

وبعد أن قال ذلك غادر القصر ليعود إلى صومعته.

أرادت الملكة كييكي أيضاً أن تعرف أخبار تتويج راما من وصيفتها مانتراManthra ، فشعرت بالبهجة وأعطت قلادة عنقها للوصيفة هدية لها وقالت لها: هذه مكافأتك لأنك جئت بهذه الأخبار السارة، كم أنا سعيدة!.

لكن مانترا الشريرة ألقت بالقلادة بعيداً وقالت لسيدتها:

لا يحق لك أن تكوني مسرورة أيتها الملكة فبعد بضعة أيام يصبح راما ملكاً متوجاً، أما ابنك بهاراتا فلن يكون أفضل من عبد رقيق لدى الملك الجديد.

قالت كييكي:

ـ وماذا في هذا! إن رام حبيب إلى نفسي مثل بهاراتا تماماً.

فأجابتها الوصيفة:

ـ "ما أقصر نظرك، أيتها الملكة، ولماذا يتوج رام بدلاً من بهاراتا "؟

❖ وأردفت الوصيفة قائلة:

ـ وعندما يأتي راما إلى العرش سيكون بهاراتا كالقذي في العين، ولكي يتخلص راما من أبنك إما أن ينفيه بعيداً عن البلاد أو أن يقتله ".

فاستبعدت كييكي ذلك بقولها:

ـ كلا، لن يحدث هذا أبداً، فليس راما من هذا النوع من الناس الأشرار.

لكن الوصيفة استمرت في بث أفكارها الشريرة وفي تسميم أفكار الملكة فقالت: سوف تصبح كوشاليا هي الملكة الأم ولن تكوني أنت الملكة، بعد أن يتوج راما، وسوف تكوني مضطرة لإطاعتها والإذعان لها.

وهنا أثّرت كلمات الوصيفة في نفس كييكي فقد كانت تغار من كوشاليا فقالت: هذا الكلام صحيح.

وقالت الوصيفة: عليك أيتها الملكة أن تتصرفي بحكمة لكي تمهدي الطريق لبهاراتا كي يصل إلى العرش ".

❖ لكن الملكة تساءلت: ولكن كيف سيوافق الملك على تتويج بهاراتا؟

أجابت الوصيفة:

- ولم لا؟ يمكن ذلك إذا تصرفت بحكمة، هل نسيت أمر الهديتين اللتين وعدك الملك بهما؟

فتذكرت الملكة ذلك وقالت: نعم، هذا له فائدة كبيرة.

وكررت الأخذ بنصيحة الوصيفة، واتجهت إلى قاعتها الخاصة حيث اعتكفت محتجة، وأخذت تجهش بالبكاء وألقت بملابسها وحليها بعيداً.

وعندما وصل الملك إلى جناح كييكي دهش عندما علم أنها معتكفة في "قاعة الاحتجاج" وأصابه الذعر الشديد، وعندما اقترب منها وجدها راقدة على الأرض تنتحب وتبكي بدموع غزيرة، فارتعشت قدماه.

❖ ولما رأى الملك حالة الملكة البائسة وقد ذهب بهاؤها وجمالها شعر كما لو كانت الملك تتمرن على دورها القادم كأرملة بعد وفاته، لكنه تحلى بضبط النفس وقال لها: "ما هو السبب في احتجاجك أيتها الملكة؟ هل أغضبك أحد؟ إنني مستعد لعمل أي شيء من أجلك، فهل تريدين أن أجعل من أحد الشحاذين سيداً مترفاً، أو ان احول مليونيراً إلى شحاذ وأنفيه بعيداً عن البلاد؟ انهضي وافرحي، فليس من المستحب أن يكون شكلك هكذا في مثل هذه المناسبة المبهجة".

ولما سمعت الملكة كييكي عبارات الملك، ارتعدت قليلاً في البداية ثم أخفت رغبتها بدهاء وابتسمت ثم نهضت.

ولم يفهم داشارات حيلتها مع أنه سياسي محنك، وفي الحقيقة إن

شخصية المرأة مثل بحر عميق لا يمكن لأي رجل أن ينفذ إلى أعماقه.

....

❖ وتكلمت كيكي بلطف ومحبة ولكن بدهاء فقالت:

ـ "عزيزي الملك! إنك تلح عليّ دائماً لتلبي رغباتي لكنك لا تنفذ منها شيئاً ألا تذكر أنك وعدتني يوماً بهديتين كبيرتين؟"

ـ "نعم، أذكر هذا، لكنك لم تطلبي مني ذلك فنسيتهما!".

فأجابت الملكة: حسناً! إنني اطلبهما منك الآن.

ـ "سوف أمنحك ما تطلبين دون تردد، فنحن سلالة راجهو Raghu الكبير، لا نحنث بوعودنا أبداً حتى لو كانت على حساب حياتنا "

فابتسمت كيكي ثم قالت:

ـ أما بالنسبة للهدية الأولى فإنني أطلب العرش لأبني " بهاراتا"، وأما بالنسبة للهدية الثاني فهي نفي راما لمدة أربعة عشر عاماً.

وكانت هذه الكلمات التي تفوهت بها الملكة كالصاعقة على الملك فما ان سمعها حتى اصيب بشحوب شديد.

....

❖ قالت الملكة: أتذكر معركتك مع الشياطين، لقد كنت معك في ذلك الوقت، وقد قاتلت بشجاعة وقتلت منهم أعداداً وفيرة، ولكن فجأة أصابتك أحد السهام وجرحت وسقطت داخل مركبتك، ولما وجدتُ أن حياتك في خطر قمت بسوق المركبة

بعيداً عن أرض الأعداء ونجوت بك.

وفي ذلك الحين وعدتني بمنحي هديتين، ووافقت على أن أطلبهما عندما أحتاج إليهما، والآن حان الوقت لآخذ الهديتين.

فإن كنت تؤمن بالصدق والأمانة يجب أن توافق على ما أطلبه منك، ولما سمع الملك "داشارات" هذا الكلام من الملكة " كيبكي" صار أبكماً كالتمثال وأخذ يحملق في وجه كيبكي.

....

❖ ولما رأت " كيبكي" أن الملك دهش وأصابه الصمت، قالت:

اليس " بهاراتا " أبنك؟ أو لست أنا أيضاً زوجتك الشرعية؟

قال الملك: عزيزتي! لا تنطقي بكلمات تسيء إلى الحب المتبادل، وتكون ضد طبيعة السلوك الإنساني، فبهاراتا وراما عيناي، وسوف أبعث رسولاً وراء " بهاراتا" " وشاتروجهنا"، وأتوج ابنك بهاراتا ملكاً لآيادوهيا فليس لرام رغبة في العرش، واصرفي عنك الغضب والحزن وافرحي، سوف أقوم بالترتيبات من أجل تتويج بهاراتا بعد بضعة أيام، ثم لمس الملك بيديه قدمي الملكة كيبكي وقال:

- " أرجو أن تسحبي طلبك الثاني فهو غير مرغوب فيه، فما هي غلطة رام؟، إنه كالملاك".

فأجابت الملكة بتجهم:

- "مهما حاولت فلن تنجح حيلتك، يجب أن تمنحني ما أطلب وإلا فالعار والدمار لك ولمملكتك، إنني لا أحب النفاق".

❖ عندما وصل رئيس الوزراء إلى جناح رام في القصر، قدم رسول معه كلمة من الملك فقال: " النصر لوريث العرش! إن والدك الموقر يريد أن يشاهدك حالاً، إنه الآن في قصر الملكة الصغرى ويريد منك أن تذهب إلى هناك".

وتكلم رام إلى " سيتا" قائلاً: ها أنا ذاهب ياعزيزتي! إن الأم كييكي هي امرأة ودودة حنونة، ولابد أنها تتباحث مع أبي في تفاصيل حفل التتويج، وهذا هو السبب في إرساله في طلبي، لابد ان أذهب إليه في الحال ".

وعلى الفور اتجه إلى قصر كييكي، اما رئيس الوزراء سومانت Sumant فقد عاد إلى البلاط الملكي.

....

❖ أنجزت الاستعدادات لحفل تتويج رام واجتمع جميع النبلاء والوزراء في البلاط الملكي، ثم سأل أحد النبلاء سومانت رئيس الوزراء:

- " سيدي، إن الاستعدادات لتتويج رام قد تمت، لكن الملك ووريثه رام ليسا موجودين فأين هما الآن؟.

قال نبيل آخر: "نرجو أن يكونا على ما يرام ".

ثم قال أحد الوزراء:

لقد أزفت ساعة التتويج، لكن الملك ليس موجوداً، اذهب وتقص ما في الأمر، وراء هذا التأخير؟

فقال رئيس الوزراء:

ـ حسناً، سوف أذهب في الحال إلى جناح " رام " لأستطلع ما في الأمر، ثم اتجه فوراً إلى قصر رام.

❖ عندما وصل رام إلى قصر كييكي " وجد أباه غارقاً في الحزن والأسى ووجد الأم كييكي تقف بجانبه في حالة غضب، وقد ساورها الشك بحدوث شيء مشؤوم، فأصابها الذعر.

وانحنى رام أمامهما ثم قال:

ـ أيتها الأم العزيزة! ما هو السبب في حزن والدي؟، فلعلي أخفف من حزنه وأساه".

فأجابت الملكة في غضب شديد:

ـ لقد وعدني والدك بتلبية طلبين لي، وهذا هو السبب الوحيد في حزنه وأسفه، لأن تلبية هذين الطلبين سوف يسبب الأذى لك.

فقال رام: " أيتها الأم! إن الأبن الذي ينفذ رغبات والديه بإخلاص إنسان محظوظ".

....

❖ ثم سأل رام الأم كييكي:

ـ " أماه! أرجو أن تخبريني بأمر هذين الطلبين وسوف ألبيهما حتى لو خاطرت بحياتي".

فقالت الملكة: إذن اسمع، إن طلبي الأول هو أن يكون بهاراتا ابني هو الملك بدلاً منك، أما مطلبي الثاني فهو نفيك لمدة أربع عشرة عاماً ".

فابتسم رام وقال: أنا مستعد لتلبية مطلبيك اللذين وافق عليهما

والداي، وهذا أفضل لي فسوف تكون لدي فرصة لأرى عدداً من النساك المتعلمين الذين سوف يهذبونني من الناحية العقلية والأخلاقية ".

واتجه راما فوراً إلى الأم كوشاليا وأخبرها بالطلبين اللذين منحهما الملك لكييكي.

فشعرت الملكة باضطراب لدى سماعها كلمات ابنها وانفجرت بالبكاء.

....

❖ وعندما سمع لاكشمان الذي كان حاضراً في ذلك الوقت مطلبي الملكة، غضب غضباً شديداً وقال:

- يبدو أن والدنا قد أصابه الخرف بسبب تقدم السن وإلا لماذا حرم رام من حقوقه، وطلب منه أن يغادر البلاد؟

- أيها الأخ العزيز، إنك ملك آيودهيا، ومن يعارضك أقف في وجهه.

فقال رام: كلا، كلا، أبداً، يجب أن يتحلى المرء بالصبر في مثل هذه الظروف وعلينا أن ننتبه إلى واجبنا تجاه والدينا، ومن العار ألاّ ألبي مطلبي والديّ.

فأجاب لاكشمان:

- حسناً، يجب ن أذهب إلى الغابة معك، سوف أذهب معك ولو إلى السماء يا أخي العزيز.

❖ قال رام: بكل سرور يا أخي العزيز، إن صحبتك لي عزاء كبير. ثم ودع أمه ليذهب إلى الغابة، ولما رأت كوشاليا إصرار

ابنها قالت:

بني! خذني معك أيضاً إلى الغابة إذا كنت مصمماً على الذهاب، إن فراق الأم لابنها أكثر إيلاماً مما لو لم ترزق ولداً ".

فأجاب رام: " أماه! إن والدي شديد الحزن، فإذا تركته في هذه الحالة ربما مات من الحزن، فيجب أن تحاولي مواساته، باركي خطواته كي أتجه إلى الغابة وأنا مطمئن".

فباركته كوشاليا ثم ودعته قائلة:

- اذهب يا بني! ليحميك الله.

....

❖ وبعد أن ترك رام أمه كوشاليا اتجه إلى زوجته سيتا وأخبرها بكل ما حدث فقالت سيتا:

- عزيزي! سوف أصحبك أنا أيضاً إلى الغابة.

فاتجه رام ولاكشمان وسيتا إلى الملك داشارات " الذي حاول النهوض، لكنه وقع، فرفعه رام على ذراعه ووضعه في الفراش.

ولما أستعاد الملك وعيه قال:

- يا بني رام، لقد أخذت كييكي كل ما لديّ، وكل ما يخصني معك، وسوف تكون لك مملكة أينما حللت ".

- كلا يا أبي العزيز، لست محتاجاً للمال في الغابة، أعطني ثوباً فقط لأرتديه وأغادر على الفور.

❖ ولما سمعت كييكي كلام رام دخلت وأحضرت ثلاثة أثواب ثم قالت:

هاهي الأثواب خذوها معكم لتلبسوها في الغابة.
نعم أيها الأم العزيزة، ثم مالبث الأخوان أن لبسا الثوبين، لكن سيتا لم تعرف كيف تلبس ثوبها الجديد.
ثم قالت: " أمي العزيزة لا أعرف كيف ألبس هذا الرداء، أرجوك مساعدتي على لبسها ".
وبعد أن قالت هذا، قالت الوصيفة مانترا:
- "هيا يا عزيزتي، وأخذت زوجة رام إلى داخل الغرفة ثم ساعدتها على لبس ثياب الغابة ".
وبعد ذلك، طلب الثلاثة الإذن لهم بالذهاب من الملكة كييكي والملك داشارات، وغادر الثلاثة القصر الملكي..

....

❖ وخرج رام ولاكشمان وسيتا من القصر متنكرين في هيئة نساك وركبوا في المركبة، أما الملك فقد ظل صامتاً مذهولاً وأخذ يحملق في العربة وهي تغادر القصر. وقال لنفسه: "يا للغرابة! إن الأبرياء يعاقبون على أخطاء الآخرين".
وبعد ذلك سقط فاقد الوعي مرة أخرى، وكان الشيء الذي ساءه أكثر من غيره هو رحيل سيتا إلى الغابة.
وقد حاول الجميع أن يثنوا سيتا عن الذهاب إلى الغابة، وذكرها الناس بحلاوة العيش في القصر بالنظر إلى شظف العيش في الغابة ومشاقها.
غير أنها لم تتأثر بأقوال الناس أبداً فلم يكن لرغد الحياة في

القصر أن يثنيها عن عزيمتها، كما أنّ مشاق العيش في الغابة لم تمنعها من مرافقة زوجها.

....

❖ ولما رأى الناس في آيودهيا رام يغادر بلاده إلى الغابة، أخذوا يذرفون الدموع، وقال أحدهم وهو ينتحب بمرارة:

ـ " لقد كان رام يسير متبوعاً بجيش له أربع أجنحة أما الآن فلا يسير خلفه إلا زوجته وشقيقه".

وقال آخر معبراً عن شكوكه:

ـ إن رام إنسان جيد وكريم، هل نحن على استعداد لنفي أميرنا؟، كم هو صبور! لماذا أمر الملك بنفيه؟.

وتأثر كل الحاضرين بما حدث وقالوا بصوت واحد:

ـ لنمشي وراء أمرنا المحبوب وهو يغادر أرضنا وبيوتنا ".

وتبعوا العربة التي كانت تقل الأمراء المنفيين، أما بقية الناس فقد عادوا إلى بيوتهم في حزن عميق وهم يذرفون الدموع الغزيرة.

....

قصة آيودهيا

– ٢ –

❖ لما رأى رام " سكان آيودهيا يسيرون وراء عربته قال لهم:

" أتوسل إليكم أن تعودوا إلى آيودهيا وتمدوا أيديكم إلى بهاراتا مليككم الجديد وتتعاونوا معه وهذا سوف يضاعف محبتكم في قلبي.

لكن الناس لم يصغوا إلى راما وظلوا يتبعونه، وعندما وصلوا إلى ضفاف نهر تامسا Tamsa، بدأ الظلام يحل، فقرر سومانت رئيس الوزراء أن يوقف العربة وسرعان ما استغرق الناس في النوم لتعبهم وحزنهم، وعند منتصف الليل قال رام لسومانت:

جهز العربة فسوف نغادر هذا المكان قبل أن ينهض هؤلاء القوم من نومهم وإلا فلن يدعونا وشأننا، ففعل سومانت ما أمره به " رام " وتحركت العربة وعليها رام ولاكشمان وسيتا.

....

❖ واتجهت العربة بالمسافرين نحو الجنوب فعبروا نهر التامسا

ووصلوا إلى الحدزد الجنوبية لملكة كوسالا Kosala، والتفت رام نحو آيودهيا وأحنى رأسه احتراماً ثم قال:

إنني أتركك أيها البلد الأم وعندما تنتهي مدة النفي سوف أعود إليك مرة أخرى وأرى والديّ العزيزين، وتقدم الركب ووصلت العربة إلى الضفاف الشمالية لنهر الغانج Ghange.

وكان هذا الإقليم تحت حكم شخص يدعى نيشادرج Nishadrag وكان رفيقاً لرام عندما كان يدرس العلوم الدينية في صومعة فاسيستا، وعندما علم بقدوم رام فرح فرحاً عظيماً وجمع كل أعوانه وقال لهم:

- هل علمتم أن صديقي وسيدي رام قد أتى، لنذهب ونستقبله بأذرع مفتوحة، إن نظرة نلقيها على وجهه السمح كفيلة بتخليصنا من كل خطايانا ومشاقنا.

....

❖ توجه "نيشادراج Nishadraj" لاستقبال زام ولاكشمان وسيتا، فحيَّاهما ومدَّ لهما يديه قائلاً:

- سيدي، ماذا يمكن أن أقدم لكم من عون ومساعدة؟، إن زيارتكما لهذا المكان بركة له قال رام:

- لقد أحببتك أنا أيضاً، وأرجو أن تقدم لي معروفاً بأن تهيء لي قارباً أعبر به نهر الغانج وأصل إلى الضفة الجنوبية.

ثم عانق نيشادراج ولما انصرف زعيم النيشاد ليهئ القارب، قال رام لسومانت:

- سيدي يجب أن تعود إلى آيودهيا الآن، فسوف تبدأ رحلتنا إلى المنفى من هذا المكان.

فأجاب سومانت Sumant:

- لا أجرؤ على العودة إلى آيودهيا وعربتي فارغة، وقد قررت أن أبقى في الغابة وأخدمك ليلاً نهاراً.

كلا يا سيدي، يجب أن تعود، فعليك مهمتان شاقتان الأولى تعزية والدي ومواساته، والثانية لتؤكد للملكة كييكي أنني بدأت أستقر في الحياة بالغابة.

....

❖ وبدأ سومانت رحلته إلى آيودهيا، وفي ذلك الوقت توجه رام إلى مكان المركب، لكن سائق القارب رفض أن ينقله عبر النهر وقال له:

سيدي! لقد سمعت أن لمسة من قدميك لها تأثير سحري، وأي شيء تلمسه يتحول إلى امرأة، فهل صحيح أن الصخرة تحولت إلى امرأة بلمسة من قدميك؟ إن قاربي مصنوع من الخشب وإذا تحلو إلى امرأة فإن اسرتي ستموت من الجوع.

فأبتسم رام وقال:

كيف يمكن أن يزول هذا الشك منك أيها الصديق؟

فأجاب الرجل:

- لن أدعك تخطو نحو القارب حتى أغسل قدميك.

فقال رام:

حسناً ، اغسل قدمي ودعنا نعبر النهر بقاربك على الفور. ثم غسل الرجل قدمي رام بمياه نهر الغانج Ganga.

....

❖ ولما اطمأن سائق القارب إلى رام سمح له وللاكشمان وسيتا بالجلوس في القارب وأخذ يجدف باتجاه الضفة الأخرى للنهر، وكان نيشادراج أيضاً في القارب في ذلك الوقت، ولما وصلوا إلى الضفة الأخرى نزلوا من القارب، أما السائق فجلس عند قدمي رام، وشعر رام بأنه يجب أن يدفع له أجره فخلعت سيتا خاتمها الذهبي وناولته للسائق قائلة: هذا أجرك.

فقال الرجل: كلا لقد أخذت أجري بالفعل، فغسل قدمي رام قد خلصني من أخطائي وأحزاني، ولهذا فإنني لا أريد شيئاً. وسجد راما للإله بينما كانت "سيتا" تدعو له قائلة:

- إلهي باركني كي تتحقق كل أمنياتي.

ثم ودعوا السائق.

....

❖ وعبر رام بصحبة أخيه وزوجته وصديقه نيشادراج الغابة ووصلوا إلى براياج Prayag وهي مدينة عند ملتقى نهر الغانج ويامونا Yamuna ، وزاروا صومعة الكاهن بهاردواج Bhardwaj الذي قدم لهم التسلية وآنسهم بكل ما لديه من وسائل وقال لرام:

- لقد سررت بلقائكم واكتمل ما أقوم به من عزلة وتأمل في هذا اليوم.

فقال رام: ياله من إنسان عظيم، ذلك الذي تكن له هذا التقدير والاحترام! ثم ناشده قائلاً:

- أرجو منك التلطف بإرشادنا إلى مكان يمكن أن نقيم فيه بسلام.

فقال الكاهن: هناك رابية تدعى شيتراكوت Shitrakoot إلى جانب نهر اليامونا، وهذا المكان مليء بالنباتات الجميلة المزهرة وأشجار الفاكهة والينابيع ومساقط المياه، وغيرها من مظاهر الجمال الطبيعي، وفي رأيي أن هذا المكان هو أنسب الأماكن لسكناكم.

وهكذا ودعوا الكاهن بهاردواج واتجهوا نحو " شيتراكوت ".

....

❖ وبعد أن وصل سومانتا إلى آيودهيا ترك العربة الملكية خارج المدينة، ولم يجرؤ على دخولها كما لو كان متهماً بقتل شخص.. فأمضى النهار تحت شجرة كبيرة ودخل المدينة تحت جنح الظلام، فأنقذ نفسه من عيون الناس، واتجه إلى القصر الملكي وقادته إحدى الوصيفات إلى مخدع الملكة " كوشاليا "، وهناك كان الملك داشارات جالساً في حزن شديد على فراق ابنه العزيز.

فانحنى سومانتا ثم حيّا الملك، فسأله الملك:

- كيف حال ابني رام يا سومانتا؟ وهل عاد مع سيتا ولاكشمان إلى هنا فإذا لم يعد، دعني أذهب إليه، وإلا فإنني سأموت.

ولما سمع سومانتا هذا الكلام، انفجر باكياً ولم يستطع أن ينبس

بكلمة.

....

❖ ولما رأى الملك شديد الحزن أخذ يواسيه فقال له:

- سيدي! إنك تجمع المعرفة الحقيقية وأنت من كبار المقاتلين الشجعان، وقد تميزت بالصبر والحلم وهذا لأنك رافقت كثيراً من الأولياء والصوفيين.

إن الفرح والحزن، واللقاء والفراق، كلها أمور تخضع للقدر، فأطلب منك أن تكون شجاعاً وتودع الحزن والقلق.

قال الملك: أنت على حق يا عزيزي، فكل شيء يخض للقدر، وهذا نتيجة عملي لأنني لعنت من قبل الأب العزيز تشرافنا shravana وأنا مقتنع تماماً بأنه قد كتب عليّ أن أموت حزناً لفراقي ولدي الحبيب.

وقد تذكر الملك بالفعل اللعنة التي حلت عليه من قبل والدي شرافانا الأعمى، ولما سمعت الملكة كوشاليا هذا الكلام ألحت على سماع القصة، فأخذ الملك يروي لها الحكاية.

....

❖ ذات يوم توجهت للصيد في الغابة المسماة غابة بيتاس Betas فجلست على فرع شجرة كانت على ضفة النهر وكانن الوقت ليلاً وكانت تلك الليلة مظلمة، وأتى شرافانا Shravana لكي يملأ الجرّة بالماء من النهر، ولما وضع الوعاء في الماء، سمعت صوتاً قوياً، وظننت أنه صوت أحد الغزلان، وكنت خبيراً بالصيد وفقاً

لموضع الصوت كما تعلم، فأطلقت سهماً باتجاه الصوت، وفجأة أصبت شرافانا، فوقع على الأرض، وأطلق صيحة كبيرة قائلاً: "يا إلهي" فأفزعتني الصيحة وركضت باتجاهها، ولما رأيت "شرافانا " في وضع خطر شعرت بالألم والندم على ما فعلت.

قال لي شرافانا:

ليس هذا وقت الأسف، إن والديّ العجوزين الضريرين قد عطشا جداً، وقد جئت أبحث عن الماء من أجلهما، فاحمل لهما هذا الماء حتى يزول ما بهما من عطش، واحكي لهما القصة بكاملها بعد أن يشربا الماء. وبعد أن قال " شرافانا "، هذه العبارة لفظ آخر أنفاسه.

....

❖ وأخذت وعاء الماء حيث كان والدا شرافانا، واخبرتهما عن القصة بكاملها وطلبت منهما أن يشربا الماء لكنهما رفضا، اخذا ينتحبان بحزن وأسى، ثم طلبا مني أن أحضر محرقة ففعلت، وجلس الوالدان على المحرقة وابنهما الميت في حضنهما، وكانا في الوقت نفسه يلعنانى بقولهما:

- " انصت، أيها الملك! إنك أيضاً سوف تموت حزناً لافتراقك عن ولدك مثلما نحن الآن.

ولم يكن لديّ في ذلك الحين أبن، وهكذا ظننت أن لعنة الزوجين الحزينين لن يكون لها تأثير عليّ، لأنه لم يكن عندي ولد في ذلك الوقت.

ولكن الآن عندما أصبح رام ولاكشمان وسيتا في الغابة تذكرت تلك اللعنة، إنني أحب رام اكثر من أي شيء في الدنيا، وهو الآن بعيد عني، ولا يمكن أن أعيش بدونه، حقاً إن الموت يقترب مني".

....

❖ وبعد أن قص الملك حكاية اللعنة على الملكة، نادى " رام" بصوت عال ثم لفظ أنفاسه الأخيرة.

وجلست الملكات الثلاث حوله وهن يولولن وينتحبن، وغرق القصر كله في حزن عميق، حتى أن الخدم والوصيفات حزنوا جداً لوفاة مليكهم، وانتشرت أنباء موت الملك كما تنتشر النار المتقدة، وحزنت مدينة آيودهيا بأسرها على وفاة الملك. وكان الناس يقولون عنه:

لقد كان الملك مثالاً للحكمة والنبل والصفات الحميدة والعدل وأخذ الناس يلعنون الملكة كييكي ويشتموها أيضاً، لكن الملك فارق هذه الدنيا الفانية في حزن واسى لفراق ابنه. ومر الليل، ولما طلع النهار. علم الكاهن فاسيستا بوفاة الملك.

....

❖ فهرع فاسيستا إلى القصر، وقدم تعازيه إلى الملكات والوزراء وكان يقول لهم مواسياً: إن الموت حق على كل إنسان، ثم طلب من سومانت الوزير أن يضع جثمان الملك في وعاء كالقارب مليء بالزيت لكي لا يفسد، ثم أرسل في طلب بهاراتا الذي كان مع جديه، ونصح الرسول بأن يخفي أنباء وفاة الملك عن بهاراتا،

وهكذا قصد الرسول المدينة التي كان يعيش فيها والدا الملكة كييكي، ليحضر معه الأميرين بهاراتا وشاتروجهنا.

....

❖ والآن لنسمع قصة بهاراتا فقد كان يتوقع أحداثاً مشؤومة في آيودهيا، ولذلك فقد كان يشك في أن يستتب الأمن والاستقرار في المدينة، وكان يرى أحلاماً مزعجة في الليل وكان دائم الابتهال إلى الله بأن تصبح البلاد في أمان واطمئنان.

ووصل رسول فاسيستا ونقل رسالة الكاهن إلى الأميرين فتوجها فوراً إلى آيوديها، وكان يتمنيان لو أنهما يطيران إليها طيراناً.

....

❖ وعندما وصل الأميران إلى آيودهيا، شاهدا أشياء تنذر بالشؤم، ولما دخلا المدينة وجدا كل من فيها غارق في الحزن، وكان الناس يحييوهما ثم ينصرفوا دون أن ينطقوا بكلمة واحدة.

واتجه بهاراتا نحو زوجته ما ندافي Mandavi وسألها:

- هل كل شيء هنا على ما يرام؟.

فأجابته:

اذهب إلى والدتك أولاً فلابد أنها متشوقة لرؤيتك فاتجه بهارات إلى قصر والدته.

❖ ولما علمت كييكي بقدوم بهارات، أسرعت لا ستقباله عند الباب بسرور، ثم قالت لأبنها:

- هل كل شيء على ما يرام عندكم؟

فقال بهارات: نعم، ولكن ماذا يحدث هنا؟ وكيف حال والدي العزيز والملكتين، وهل شقيقي الأكبر وزوجته سيتا بخير؟ وأين أخي لاكشمان؟.

وكان بهارات يأمل في أن يسمع منها الحقيقة.

ولما سمعت كييكي أسئلة أبنها المتوالية ملأت عيناها بدموع التماسيح وقالت:

- أنت تعلم كم أنا حريصة على مصلحتك ومستقبلك، كما أن الوصيفة مانترا قد ساعدتني كثيراً من أجل ذلك، ولكن شيئاً حزيناً قد حدث وهو وفاة والدك فجأة.

ولما سمع بهارات خبر وفاة والده، أخذ يبكي بمرارة وطلب من والدته أن تشرح له ما حدث أثناء غيابه.

....

❖ فبدأت كييكي تروي الحكاية لأبنها، وتحكي قصة استيلائها على العرش من أجله، وكيف أنها تمكنت من نفي رام بمساعدة وصيفتها مانترا، ثم أضافت بقولها:

- "بنّي! ليس من شيم الملوك البكاء،انهض واستمتع بما أنعم الله به عليك من نعمة".

لكن بهارات غضب لسماعه كلمات والدته وقال:

- " أيها السيدة المخطئة، لقد سببت الأذى لأسرتنا، لماذا لم تتركيني أموت بعد أن ولدت، إنني أخجل من كونك أمّاً لي، أما أبي واخوتي فإنني أفتخر بهم وكيف لي أن أحصل على مثلهم؟

إنني أتبرأ منك كأم ".

وفي ذلك الوقت بالذات، دخلت الوصيفة مانترا في أبهى حلة وزينة، فغضب شاتروجهنا لرؤيتها ولكمها على ظهرها حتى سقطت على الأرض فكسر ظهرها ورأسها، وصرخت من الألم ثم قالت لبهارات:

- "يا إلهي! هل هذا ثمن ما قدمت لك من إحسان؟".

....

❖ وغادر الأميران قصر الملكة كييكي ثم اتجها إلى قصر الملكة كوشاليا ليلقيا نظرة أخيرة على جثمان الملك هناك، وكان يبكيان بمرارة.

ولما شاهدهما "فاسيستا" قال لبهارات:

- عزيزي بهارات! إن الميلاد والوفاة، الفرح والحزن كلها أشياء طبيعية وإن الإنسان الذي يلد على هذه الأرض لابد أن يموت يوماً ما، لذلك، كفكف دمعك واستعد لطقوس الجنازة للملك الراحل.

فقال بهاراتا: نعم يا سيدي، ونهض بقلب أثقله الحزن والأسى وطلب من سومانتا أن يعدّ الترتيبات للطقوس الأخيرة لدفن الملك.

وسرعان ما أعدت المحرقة وتم حرق الجثمان وفقاً للطقوس الدينية الهندية.

....

❖ وعقد بهارات بعد ذلك مجلس البلاط حيث كان كل النبلاء

والوزراء حاضرين مع الحكيم فاسيستا، وألقى الحكيم فاسيستا موعظة حول الميزان بين السياسة والدين فقال:

يا بهارات! ليكن ما يكون، إن الميلاد والموت الربح والخسارة الشهرة وذهابها، كل هذا أمام الله سواء، لقد عاش الملك داشارات حياة كلها سعادة ورخاء، فادفن أحزانك ونفذ وصية والدك، أقبل تولي العرش وقم بخدمة شعبك.

وأيد كل النبلاء والوزراء ما قاله الحكيم فاسيستا، ولما سمع بهاراتا هذا الكلام قال بصوت متواضع:

- "أيها الكاهن العظيم! إنك معلم الأسرة، يقال إن الملك يجب أن يكون متديناً وأميناً، وأنا خاطئ كبير، لقد مات والدي بسببي، فكيف أقبل العرش، إنه من حق رام ولن يعتليه سواه، وهذا عهد مني ".

....

❖ وتعهد بهارات أن يتوج رام، وأخذ يتحدث إلى كل الحاضرين في المجلس قائلاً:

- إذا كنتم تتمنون الخير للمملكة فيجب أن تساعدوني على تنفيذ العهد الذي أخذته على نفسي، لنذهب جميعاً إلى الغابة ونتوج رام هناك ونرجوه أن يعود إلى آيودهيا، وأنا واثق من أنه لن يخذلني ويجب أن يقبل ما أطلبه منه.

وايد الجميع مقترحات "بهاراتا"،وهكذا أعد سومانتا الترتيبات لكي يتوجه إلى الغابة كما أمر بهاراتا.

وفي اليوم التالي غادر بهاراتا المدينة إلى الغابة مصحوباً بحاشيته وبالنبلاء والوزراء والكاهن فاسيستا، وحمل هؤلاء معهم أيضاً أدوات التتويج.

كذلك فقد اشترك أيضاً الملك جاناكا Janaka والد سيتا في المسيرة الكبيرة أيضاً مع حاشيته وجنده.

....

❖ وكان رام ولاكشمان وسيتا قد استقروا في احد الأكواخ في شيتراكوت Chitrakoot.

وذات يوم، كان الثلاثة جالسون أمام الكوخ، فرأوا طيوراً كثيرة تطير هنا وهناك في رعب، فقال رام للأكشمان:

- إن الطيور تطير في ذعر شديد، وليس هذا فقط ما أراه، لكن هناك سحباً من الدخان تبدو في الأفق البعيد، ارقب ما يجري، وعندما سمع لاكشمان هذا تسلق شجرة عالية وأخذ يرقب بحرص، ثم قال لأخيه بصوت ملؤه الشك:

- استعد يا أخي! فبعد أن تولى بهارات العرش،لا بد أنه يأتي بجيشه لكي يتخلص منا.

فقال رام:

- كلا، يا لاكشمان، إن بهارات إنسان جيد، ولن يمكنه فعل هذا، وسوف نعرف منه الحقيقة حالاً.

....

❖ وعندما عرف بهارات مكان الكوخ الذي سكن فيه رام، بعد

أن وصل إلى شيتراكوت، سارع لعناق أخيه.

ولما رأى رام شقيقه بهاراتا يجري حافي القدمين ركض أيضاً باتجاهه وقال:

- أخي العزيز! أنت هنا! هل كل شيء على ما يرام؟

فعانق بهارات شقيقه رام.

وفي هذه اللحظة شعر لاكشمان بالأسف بسبب شكوكه وقال لنفسه: كم أنا مخطئ في تقديري للأمور أحياناً! إن بهارات يحب رام مثلما أحبه أنا.

وهكذا طلب لاكشمان عذر بهاراتا وعانقه أيضاً، ثم قدم بهارات احترامه لسيتا زوجة رام، وتحدث عن سبب زيارته.

....

❖ وفي تلك اللحظة بالذات وصلت الملكات الأرامل الثلاث بثياب الحداد فبدأ رام ينتحب بمرارة وأسى.

ثم قال بهاراتا لرام:

إن أبي العزيز لم يستطع تحمل الحزن على فراقك يا أخي، وقد ودع الحياة وهو يلفظ اسمك، وكنت أنا في ذلك الوقت عند جدي.

فصاح رام لابأس: أخي العزيز! ثم قال:

لقد كنت آمل العودة إلى آيودهيا بعد إنقضاء فترة النفي، لكن حماسي للعودة قد فتر بعد وفاة أبي. لكن الحكيم فاسيستا نصح رام كثيراً وقدم له تعازيه أيضاً، وهكذا وقف رام في حياة نهر المانداكيني Mandakini، وقدم القرابين لروح والده المتوفي

قائلاً:

- إن هذا الماء المقدس سيصل إليك دوماً.

....

❖ وفي اليوم التالي وضع بهاراتا أمام رام الثوب الملكي وغيره من أدوات التتويج وقال: لقد جئنا لتتويجك هنا.

فأجاب رام: لا يمكنني ذلك أيها الأخ العزيز.

فسأله بهاراتا: ولِمَ، بعد كل ما حدث؟

فأجاب رام: لأنني مرتبط بالتعهدات التي تعهد بها والدي العزيز للملكة كيكي.

فاقترح بهاراتا:

- إذا كان هناك شخص يجب أن يعيش في المنفى لمدة أربع عشرة عاماً لأجل تنفيذ تعهدات والدي، فأنا الذي سأفعل.

لكن رام ألح عليه قائلاً:

- كلا يا أخي العزيز بهارات، أنا يجب أن أظل في المنفى وأنت تعتلي العرش، لذا يجب أن تتولى الحكم حتى تنتهي مدة نفيك.

فأجاب بهارات:

حسناً، إذا كانت هذه رغبتك فيجب أن أدير الحكم ولكن باسمك فقط، وسوف يوضع حذاءك الخشبي على منصة العرش كرمز.

ثم عاد بهاراتا إلى آيودهيا حاملاً حذاء رام الخشبي.

(٥)

قصــة الغــابـة

❖ بعد أن غادر "راما" شيتراكوت وصل إلى صومعة الكاهن آتري Atri ومعه لاكشمان، واستقبلهم الكاهن وزوجته آنسويا Ansuya استقبالاً حافلاً ورَحَّبًا بهم.

وبعد أن قضى رام وأخيه وزوجته بضع أيام طلبوا من الكاهن أن يأذن لهما بالرحيل لكنه قال:

- " يا رام أنك من السادة العلماء فكيف أدعك ترحل وتتركنا؟

لكن رام ترك صومعة الكاهن آتري ورافقه في رحلته عدد من النساك، وفي الطريق مروا بأكوام من بقايا الأجسام البشرية، فدهش رام جداً لرؤيتها وسأل النساك عنها فقال له أحدهم:

- " هذه البقايا هي لعديد من الأولياء الذين كانوا يعيشون في هذا المكان، غير أن الشياطين أكلوهم وألقوا بعظامهم هنا ".

وتوسل النساك إلى رام أن يحميهم هم أيضاً من الشياطين القساة.

وبعد أن توغلوا في الطريق التقوا بأحد هؤلاء الشياطين ويدعى " فيراد" "Virad"، لكن رام سرعان ما قتله.

❖ ووصل رام إلى صومعة الكاهن آجاستيا Agastya وطلب بركاته، وقدم له الكاهن أيضاً بعض الأسلحة الدينية ليتزود بها.
فقال رام للكاهن: " أنا شديد الامتنان لك، وارجو أن تدلني على مكان مناسب لأقيم فيه ".
فقال الكاهن: هناك مكان يدعى بانشفاتي Panchvati على بعد أربعة أميال من هنا، وفي الطريق التقوا بجاتايو Jatayu ملك العقاب، وكان جاتويا صديقاً للملك داشارات فطلب من رام السماح له بأن يرافقه في رحلته، وأكد لرام بأنه سيكون مفيداً له في الغابة فوافق رام.

....

❖ ولما وصلوا إلى منطقة بانشفاتي، قام لاكشمان ببناء كوخ مناسب ليقيم فيه كل من رام وزوجته سيتا، ولما شاهد رام الكوخ فرح به جداً وامتدح عمل لاكشمان وقال له: " لنجمع بعض الزهور ونصلي للإله في الكوخ قبل أن نتخذه بيتاً لنا ".
واستحم الأخوان في نهر الجوافاري Godavari وجمعا بعض أزهار اللوتس ثم صلا للإله داخل الكوخ.
وكان الكوخ واسعاً ومريحاً، فعاشوا فيه بسلام، وكان لاكشمان يحضر الخشب من الغابة بينما سيتا تقوم بطبخ الطعام.

....

❖ وشعر النساك في المنطقة بالأمان بعد أن سكنها رام ففرحوا بذلك، وذات يوم مرت شورناخا Shoorpankha بالمكان،

وكانت شقيقة رافانا Ravana ملك لانكا Lanka، وهي شيطانة قاسية وفاجرة، فرأت رام ولاكشمان ففكرت في نفسها:

- كم هما وسيمان! وددت لو أتزوج أحدهما، عندئذ أكون سعيدة طول حياتي ".

واقتربت من كوخ رام وغيرت شكلها فأصبحت على هيئة سيدة ساحرة الجمال، واختبأت خلف شجرة حتى لا يتمكن أحد من رؤيتها.

....

❖ واقتربت شوربناكا من رام وقالت له:

- " من أنت أيها الشاب؟ لماذا أتيت إلى ارض الشياطين هذه؟

قال رام:

- " أنا ابن الملك داشارات حاكم آيودهيا، وقد نفيت عن بلدي لمدة أربعة عشر عاماً، وأريد أن أمضي هذه المدة في هذه الأرض بسلام، ولكن من تكونين؟ أيتها السيدة اللطيفة؟

أجابت شوربناكا:

- " أنا شوربناكا، أخت رافانا الحاكمة القوية للانكا Lanka، وحكام المنطقة أبناء عمي كهارا Khara ودوشان Dushan، وهما من المحاربين الممتازين، وأريد أن أتزوجك فانا زوجة مناسبة جداً لك ".

لكن رام قال مازحاً:

- لكنني متزوج بالفعل وهاهي زوجتي سيتا، ولكن هناك شاب

يناسبك جداً هو أخي.

....

❖ فاتجهت شوربناكا نحو لاكشمان وقالت له:

- "إنني لم أستطع أن أجد شريكاً مناسباً لحياتي في أي مكان، وقد جئت إليك الآن لأنني أجد أنك أكثر الشبان وسامة وأنا أكثر النساء جمالاً على هذه الأرض، لابد أن الله قد خلقنا لبعضنا، فلنتزوج ونعيش بسعادة ".

- ولكن أنت أميرة من الأميرات وأنا لست سوى خادم لهذا الرجل، فهل من المناسب لك أن تتزوجي من مثلي؟

فقالت شوربناكا: كلا.

وثارت وعادت إلى هيتها الشيطانية واتجهت إلى رام وقالت:

- أرى أنك غير مستعد للزواج مني بسبب زوجتك القبيحة، لذلك يجب أن ألتهمها ثم يمكن أن تتزوجني ". ثم تقدمت نحو سيتا وهجمت عليها.

....

❖ ولما شاهدت " سيتا " الشيطانة المرعبة تهاجمها صرخت من الخوف: " لاكشمان! انقذني منا ".

ولما سمع لاكشمان صرخات سيتا، ركض في الحال متجها إلى شوربناكا وفي يده خنجر فقطع أنفها ثم قال:

- " هذا جزاء هجومك على سيتا ".

وفرت شوربناكا خوفاً على نفسها، وذهبت إلى أبناء عمها كارا

ودوشان وقالت لهما غاضبة: تباً لكما ولقوتكما، انظرا ما حدث لي، ألا تنتقما لي على هذه الإساءة "؟

وحين سمع كارا ودوشان منها القصة بكاملها اتجها إلى بانشفاتي بجيش كبير، ولما رأى رام الشياطين قال للاكشمان:

ـ أخي لاكشمان! خذ " سيتا " إلى مكان آمن فإنني سأقاتل هؤلاء الأشرار.

....

❖ وأخذ لاكشمان سيتا إلى كهف قريب، وجاء رسول من كارا إلى رام فقال له: لقد أمر سيدي كارا بأن تغادر هذا المكان على الفور " فقال رام:

ـ إننا محاربون، ونحن نتجول في الغابة للتسلية وعلى استعداد دائم لملاقاة المحاربين ولن نخشاهم أبداً، إن المحارب الحقيقي عندما يتقدم إلى جبهة القتال لا يلجأ إلى الخدع، فهذا جبن مطلق ".

وأخبر الرسول " كارا" بكل ما قاله رام، فقام الأخوين الشريرين بالهجوم على رام بجيش يتألف من ١٤٠٠ من المحاربين الأشداء، لكن رام استطاع أن يهزمهم بسرعة عدا أحدهم ويدعى أكامبان Akampan فقد فر هذا الشرير لينجو بنفسه من القتل، وقد قتل كلاً من كارا وجوشان في المعركة أيضاً.

....

❖ ولما علم الناس هناك بخبر انتصار رام على الأشرار القادمين من بانشفاتي شعر الناس بالأمان وزال خوفهم، لقد شاهدوا المعركة

التي دارت بين رام والأشرار، وكانوا أول الأمر قد شعروا بالخوف لأنهم لم يصدقوا أن بإمكان رجل واحد أن يواجه هذا العدد الكبير من الأشرار، ولكن عندما رأوا الأشرار يقتلون بعضهم البعض آمنوا بالسحر الذي قام بها رام.

وفرَّ آكامبان بعربته الهوائية باتجاه الجنوب، ورآه رام يركض هارباً من ميدان القتال، لكنه لم يصوب عليه سهامه شفقة عليه، وفي الوقت نفسه فرج لاكشمان من الكهف مصطحباً زوجته سيتا، وعاد إلى كوخهما.

....

❖ وذهب آكامبان مباشرة إلى رافانا Ravana ملك لانكا Lanka وقال: النصر لرافانا العظيم! ولكن يؤسفني أن أخبرك بأن أخويك كارا ودوشان قد قتلهما أمير من مملكة كوشالا Koshala.

وذهل رافانا لما سمع كلام آكامبان وقال:

- أيقتل اشقائي رجل، هذا غير ممكن، وإذا كان هذا صحيحاً فلا بد أن هذا الأمير قد كتب بيده موته فلن أسمح له بالبقاء على قيد الحياة.

لكن أكامبان أجاب: كلا أيها الملك العظيم إنك مخطئ، فلو اجتمع جميع الأبطال لما استطاعوا القضاء على رام، وليست هناك سوى طريقة واحدة للقضاء عليه وهي خطف زوجته التي يحبها أكثر من حياته، ولذلك فإنني أقترح عليك خطف سيتا وعندئذ

سيموت رام من الحزن والأسى لافتراقه عنها.

- حسناً، إذن يجب أن أقوم بذلك، سأذهب إلى ماريش Mareech ليساعدني. وبعد أن قال هذا، أمر بتأجيل انعقاد المجلس واتجه إلى قصره.

....

❖ وركب رافانا Ravana في اليوم التالي عربته الهوائية بوشباك Pushpak وذهب إلى ماريش الذي تحول إلى ناسك، وحكى له الملك رافانا الحكاية بكاملها وطلب منه أن يساعده، لكن ماريش قال:

- " إن الصديق الذي حَرَّضك على خطف "سيتا" هو في الحقيقة عدو لك، لذلك فإنني أنصحك بألا تكسب عداوة راما لأنَّه محارب قوي ويقتل الأشرار بالسهولة التي يقتل بها غزالاً وهو يلهو.

فقال رافانا: إنك على حق يا ماريش، ثم نهض واقفاً.

وقال ماريش لرافانا: إذهب واحكم شعبك بسلام، وتمتع بمباهج الحياة في مملكتك ودع عنك أفكار الخصومة مع رام إلى الأبد، فهذا شيء هام جداً بالنسبة لرفاهية عشيرتك.

وما لبث رافانا أن عاد إلى مملكته لانكا Lanka.

....

وما كاد رافانا يصل إلى قصره حتى وجد شوربناكا قد وصلت هناك وأخذت تولول بشدة وقالت لرافانا:

- انظر كم أهانني الأميرين رام ولاكشمان من آيودهيا، ولم

يكتفيا بذلك بل إنهما قتلا شقيقانا كارا ودوشان أيضاً، فإذا لم تثار لإهانتي ولقتل أخويك فإن الناس لن يخشوا بأس الإله والناس، وإنني لآسفة لتجاهلك مصلحة شعبك ورعيتك ومملكتك، إنك دائم السعي لإرضاء شهواتك في الوقت الذي يحوم فيه أعداءك حواليك.

ولما سمع " رافانا" هذا الكلام، ثار غاضباً وقال:

إنك على حق يا أختي، ويجب أن أذهب لأساعد ماريش.

❖ ثم عاد إلى ماريش.

ولما شاهد ماريش رافانا عائداً إليه قال:

إن أكبر خطأ على هذه الأرض هو أن يسعى المرء لإلحاق الأذى بزوجة غيره.

ولما سمع رافانا هذا غضب غضباً شديداً وقال:

ـ أيها الأحمق، كيف تجرؤ على توجيه النصح لي؟ ومن يكون أقوى مني؟

فأجاب ماريش:

ـ لا أحد.

فقال رافانا:

إذن يجب أن تتحول إلى غزال حتى يضطر رام لملاحقتك وقتلك، وفي غيابه أقوم أنا بخطف سيتا وحملها معي، وتأكد من أنك إذا لم تساعدني سأفصل رأسك عن جسدك حالاً.

ورأى ماريش أن موته محتم في كلا الحالين، فقرر أن يُقتل من

قبل رام.

وقال: حسناً، يا صديقي، أنا مستعد لمساعدتك، ولكن تذكر شيئاً واحداً هو أن الإنسان عندما يمر بظروف وأيام عصيبة فإنه يتجاهل نصيحة أصدقائه الحكماء أيضاً!.

....

❖ كان رَاما يقضي أيامه مع أخيه وزوجته بسعادة في بانشفاتي، وأصبحت حكاية شوربناكا قصة قديمة، في هذه الفترة وصل ماريش ورافانا إلى بانشفاتي.

وقال رافانا لماريش:

إن واجبك هو أن تشغل الأخوين لينصرفا بعيداً عن كوخهما.

وحول ماريش Mareech نفسه إلى غزال جميل الشكل ويدأ يحوم حول كوخ رام، ولما شاهدت سيتا الغزال قالت لرام: -

" انظر ياعزيزي كم هو جميل بجلده الذهبي وقرونه".

فاجاب رام: " نعم إن الغزال فريد من نوعه".

وفي ذلك الوقت بالذات قال لاكشمان:

- أخي! إن هذا الغزال لا يمكن أن يكون حقيقياً، لابد أنه شيطان أتى إلى هنا في هيئة غزال ليحتال علينا بطريقة أو بأخرى.

....

❖ لكن "سيتا" لم تلتفت إلى ما قاله لاكشمان، بل ألحت على الحصول على الغزال إما حياً أو ميتاً، فرفع رام قوسه وسهامه وركض خلف الغزال الذي قاده بعيداً عن الكوخ، وفي اللحظة

التي أطلق فيها رام سهماً على الغزال عاد الغزال إلى شكله الأصلي، ولما وقع على الأرض ظهر ماريش بدلاً من الغزال وصاح: سيتا!!!! لاكشمان!!.

وعندما سمعت " سيتا" الصيحة اضطربت وقالت للاكشمان:

- يبدو أن أخاك يواجه المتاعب، اذهب وساعده حالاً.

وتحير لاكشمان في أمره، لكن سيتا توسلت إليه أن يترك الكوخ، وهكذا رسم لاكشمان دائرة حول الكوخ وقال:

- زوجة أخي العزيزة! لا تخرجي عن محيط هذه الدائرة.

ثم أتجه إلى الغابة.

....

❖ لما وجد رافانا أن سيتا وحدها في الكوخ حول نفسه إلى هيئة ناسك واقترب من الكوخ، ونظر حوله ثم تقدم نحو الكوخ، ولكن عندما اقترب من الدائرة ذهل، إذ أن النار المحيطة اندلعت فجأة عندما لمست قدمه خط الدائرة، فسحب قدمه في الحال وقال مخاطباً سيتا:

- ايتها السيدة اللطيفة! إننا لا نقبل الصدقات المقيدة بحدود، فإذا كنت تريدين أن تقدمي لي شيئاً ما، أخرجي من محيط هذه الدائرة وإلا فإنني لن أقبل منك شيئاً وسأعود خالي اليدين.

فتحيرت "سيتا"، لكنها خرجت من محيط الدائرة وفي يدها نقود لتتصدق بها، وأمسك بها رافانا على الفور فصاحت سيتا غاضبة:

- من أنت؟ وكيف تجرؤ على لمسي.

فقال رافانا: أنا رافانا ملك لانكا.

وبعد أن قال هذه العبارة عاد إلى هيئته الأصلية.

....

❖ وكانت عربة "رافانا" في الخارج على بعد مسافة من الكوخ، فحمل سيتا ووضعها في العربة وقاد العربة الطائرة في مسيرها في الجو، وكانت سيتا تضرخ مستغيثة:

"يارام! انقذني من هذا الشيطان اللعين ".

فقال رافانا:

- أنا رافانا، حاكم لانكا، وسوف أرى من يجرؤ على الاقتراب مني وإنقاذها من قبضتي.

فذعرت سيتا وبدأت تولول، وبدا كما لو أن الأشجار والحجارة تشفق على سيتا بعد سماع عويلها وأنينها، وسمعها جاتايو Jataya ملك العقاب فقال:

- لا تقلقي يا ابنتي! أنا هنا لأقتل هذا الشيطان.

وما لبث أن انقض علىِ رافانا قائلاً:

- أيها التعيس! أوقف عربتك في الحال، ألا تعرفني؟ قف إذا كنت تعد نفسك مقاتلاً.

....

❖ استطاع لاكشمان أن يجد أخاه في الغابة، وسأله رام في دهشة:

أين سيتا؟.

فأجاب لاكشمان: أخي، لقد سمعنا صرختك في طلب النجدة،

وقد أتيت بناء على إلحاح سيتا.

فقال رام:

ـ لم أدعو أحداً على الإطلاق، وإن شكوكك كانت في محلها فلم يكن الغزال غزالاً حقيقياً، لقد كان الشيطان الشرير ماريش.

ـ وعندما تبعت الغزال ركض بسرعة الريح فرميت سهماً عليه وفي هذه اللحظة عاد إلى شكله الحقيقي وهو " ماريش " وقد صاح طالباً النجدة، ولم يعد له وجود الآن، لذلك يجب أن نعود إلى الكوخ.

....

❖ وصل رام ولاكشمان إلى الكوخ لكنهما لم يجدا لسيتا أي أثر، فشعرا بالقلق والخوف وبحثا عنها حول الكوخ ولكن دون جدوى، فأحس رام بالتعاسة، لكن لاكشمان قال له:

ـ لا تفقد الأمل بهذه السرعة يا أخي، فربما ذهبت إلى الغابة أو نحو النهر، لنذهب ونبحث عنها هناك.

واتجه رام ولاكشمان باتجاه الجنوب بحثاً عن سيتا.

وبعد أن قطعا مسافة طويلة وجدا "جاتايو" Jataya راقداً على الأرض نصف ميت، فأسرعا إليه وتعرفا عليه، فقال:

ـ يا لاكشمان! إنه جاتايو صديق والدنا، ثم جلس الشقيقان إلى جانب المحتضر.

....

❖ فقال جاتايو لرام:

- عندما رأيت رافانا يحمل سيتا هجمت على الشيطان اللعين، ولما أحس رافانا بالذعر، خاف جداً وقال لنفسه: من اين أتى هذا الشخص القوي؟ فغضبت وأخذت أجره خارج العربة مستعملاً مخالبي القوية، ، ولم أكتف بهذا بل إنني وخزت جسده بمنقاري القوي، وأنقذت سيتا منه، وكنت على وشك الانتهاء من إنقاذها، عندما هاجمني رافانا بسيفه وقطع جناحاي فسقطت على الأرض والدماء تسيل مني. عندئذ سأله رام:

- وأين أخذ رافانا زوجتي سيتا؟ أرجوك أن تخبرني في الحال.

فأجاب جاتايو: هذا ما لا أعرفه.

....

❖ وقال جاتايو وهو يروي قصة صراعه مع رافانا:

- عندما وجد رافانا أنه انتصر علي، وضع سيتا في عربته مرة أخرى وتحرك بها، وأذعنت سيتا وألقت بخلخالها وزينتها على الأرض.

فسأله رام: ومن هو رافانا هذا؟

وكان جاتايو على وشك الموت، لكنه أستطاع أن يتكلم كلمات قليلة بصعوبة، فقال:

- إنه ملك الشياطين وابن فيشرافا Vishrava ثم لفظ جاتايو آخر أنفاسه على حض رام.

فقال رام:

ـ أحييك ياجاتايو العظيم، إنني أحترمك كما كنت أحترم والدي.
وبعد ذلك قام الأخوان بأداء الطقوس الدينية لجاتايو.

....

❖ وأخذ رام ولاكشمان يجولان بحثاً عن سيتا، وأخيراً وصلا إلى غابة كرونش Kronch حيث أمسك بهما أحد الأشرار.
فقال لاكشمان لرام:
ـ كيف يمكن أن ننجو من هذا الشيطان المخيف يا أخي.
وقبل أن يجيب رام، فتح الشيطان فمه ليبتلعهما، لكن رام رفع سيفه وقطع أيدي الشيطان، ثم هاجمه الشقيقان معاً فقتلاه، وأحرقاه. ودهشا دهشة كبيرة عندما خرج من النار رجل وقال:
ـ أنا كاباند Kabandh، لقد تحولت إلى شيطان بسبب لعنة وقد خلصتماني الآن من هذه اللعنة، فماذا أفعل لكما من خدمة؟
وقال: سوف أدلكما على مكان سيتا، أرجو أن تبحثوا عن سوجريفا Sugreeva، حاكم بنارس، فسوف يساعدكما في معرفة مكان سيتا وإنقاذها.
وبعد أن قال هذا، اختفى.

....

❖ وصل الأخوان إلى الضفة الغربية من بحيرة "بامبا" Pampa، وهناك استقبلتهما سيدة مسنة متصوفة تُدعى شابري Shabri تنتمي إلى قبيلة من الغابة، ولما شاهدتهما يتجهان نحوها قالت: إن امنيتي القديمة سوف تتحقق الآن يارام، وقد عشت من أجل هذه

المناسبة وحدها.

ثم اتجهت إلى الغابة لتحضر توتاً برياً لرام ولاكشمان، وأحضرته بسرعة فقدمته للشقيقين وقالت:

- أرجو أن تقبلا هذه الهدية المتواضعة، لقد ذقت حبات التوت واحدة واحدة ولم أجد أياً منها مرة المذاق فكلها حلوة جداً.

فقال رام بعد أن تذوق الفاكهة الطيبة:

- هذه أحلى فاكهة على الأرض يا لاكشمان.

بينما ألقى لاكشمان بالفاكهة بعيداً، ولفظت العجوز آخر أنفاسها في ذلك اليوم.

(٦)

قصة كشكندا Kishkindha

❖ تابع راما ولاكشمان رحلتهما وبعد أن عبرا بحيرة بامبا Pampa وصلا إلى جبل ريشياموك Rishyamook، وفجأة ظهر لهما رجل من البراهمة وتحدث إليهما بصوت متواضع:

- "يبدو أنكم غرباء في هذه المنطقة فمن أين أتيتم؟".

أجاب لاكشمانا:

- ولماذا تريد أن تعرف من نحن، أيها البرهمي؟ وماذا تبغي؟

- إن لدى سبب في معرفة شخصيتكما، أيها المقاتلان! فهناك ناسك نبيل، وزاهد يدعى ساجريفا sugreeva يقيم في ذلك التل، وقد نفي من بلده بسبب أخيه فالي الملك.

وهو يعاني اياماً عصيبة بالفعل واريد أن أعرف منكما إن كنتما تبحثان عن ساجريفا.

لكن رام سأله:

- بالتأكيد، إننا نريد أن نراه، هل يمكنك إرشادنا إلى مكانه؟

فأجاب البرهمي:

- ولم لا؟ يمكنني أن أصحبكما إليه، ولكن أريد أولاً أن أعرف قصتكما.

....

❖ عندئذ قدَّمَ راما نفسه إلى البرهمي، أما لاكشمانا فروى القصة بكاملها بدءاً من نفي رام حتى خطف سيتا، لكن لاكشمانا بدأ يشك في أمر البرهمي فقال له:

- إنك لا تبدو في هيئتك الحقيقية، فالشخص الذي لم يتلقى تعاليم ريجفيدا Rigveda ولم يمر بالسامفيدا Samveda أن يتحدث بمثل هذا الأسلوب الراقي، لهذا أرجو منك أن تكشف لنا عن هويتك الحقيقية.

ولما سمع البرهمي هذا الكلام مدَّ يَديهِ وقال:

- إن ظنك في محله يا لاكشمان، أنا هانومان Hanumana وزير سوجريفا Sugreeva وقد ارسلني لأعرف ما هو سركما، ولأعرف إن كنتما جواسيس لدى أخيه فالي Vali أم لا، ولذلك فقد كنت مضطراً للتخفي أمامكما في هيئة رجل من البراهمة.

وبعد ذلك عاد هانومانا إلى شكله الحقيقي ورقد أمام قدمي راما.

....

❖ وبعد أن حكى هانومانا قصة سوجرفا الحزينة للأخرين قال:

- إن ملكنا سوجريفا يعيش أيضا في المنفى، فقد ظلمه أخوه الأكبر "فالي"، وأجبره على ترك المملكة كيشكندا Kishkindha واستولى على ملكته روما Roma، ولهذا فإن

سوجريفا يريد أن يمد لكما يد الصداقة.

فقال رام: "حسناً، خذنا إلى مليكك".

وقال هانومانا إن هناك طريقان إلى مسكن سوجريفا، أحدهما طويل جداً ولكنه سهل بينما الطريق الأخر قصير لكنه صعب جداً، ثم أجلس كلاً من الأخوين على كتفيه وقال:

- لا تندهش يا عزيزي لاكشمانا، إن لديَّ موهبة تمكنني من تغيير شكلي إلى أي شكل أريده.

....

❖ وبدأ هانومانا في الطيران باتجاه جبل ريشياموك Rishyamook حاملاً الأخوين على كتفيه، وكان يدلهما في الطريق عى النباتات المحملة بالأزهار، والمياه المنبثقة من الجداول، والكهوف والجبال، والقمم والوديان الجميلة. كذلك فقد جعلهما يشاهدان البحيرات الملأى بالمياه الملونة وعليها براعم الأزهار سابحة، بالإضافة إلى البجع وطيور الماء العديدة التي كانت تسبح في الماء، أما على الضفاف فقد كانت الغزلان الرقيقة تأكل الأعشاب، أوتستريح بعد شبعها.

وكان هناك كثير من المحاربين من أفراد الفانارا Vanara يروحون ويجيئون هنا وهناك بأجسامهم العملاقة القوية، وكان بينهم أنجاد Angad ابن فالي، الذي كان يحملق في تحركات هانومانا بعين ثاقبة.

....

❖ وترك هانومانا كلاً من رام ولاكشمانا في مقر سوجريفا على جبل ريشياموك، وعاد إلى مالاياشال Malayachal ليخبر سوجريفا بوصول الأميرين القادمين من كوشالا Koshala.

ولما وصل إلى هناك قال:

سيدي! إن رام الذي عرف بشجاعته العظيمة ومقدرته القتالية التي لا تضاهى، وقد وصل مع أخيه لاكشمانا، وهما من سلالة إكشافاكو Ikshavaku العظيم.

ومالبث هانوماناأن عاد إلى راما وأخذه مع أخيه إلى سيده سوجريفا. وقدمها إلى سوجريفا ثم قال:

- " إنهما أبناء الملك داشارات آيودهيا، وقد أتى راما إلى الغابة ليفي بوعد كان قد تعهد به إلى أبيه، وبينما هو في الغابة مع زوجته وأخيه، إذ برافانا حاكم لانكا يخطف سيتا في غيابهما، وهما في طريقهما للبحث عنها وصلا إلى هنا ويريدان أن يكونا من أصداقائك".

....

❖ ولما سمع سوجريفا ما قاله هانومانا، حيا الأخوين ورحبّ بهما وحدثهما باطف وعناية، ثم قال لهما متودداً:

- " لست سوى فرد من أفراد الفانارا Vanara، بينما أنتما رجلين، وكم أنتما لطيفين إذ تمدان يديكما إليّ بالصداقة، إنني متأكد من أنني الرابح من رباط صداقتكما ".

وشعر راما بفرح كبير لدى سماع كلام سوجريفا فعانقه، وأخذ

سوجريفا يقصّ عليه قصته والدموع في عينه فقال:

- لقد طردني أخي الأكبر فالي Vali من مملكتي واغتصب زوجتي أيضاً، وأنا أعيش هنا في خوف شديد وقلق، فأرجو أن تساعداني حتى أبعد عني كل الخوف والقلق.

....

❖ وأشعل هونامان النار بقطعتين من الخشب، ثم احتفل بالصداقة بين راما وسوجريفا، ووضع النار الموقدة بين الصديقين اللذين تعاهدا على الصداقة الخالصة.

وقال سوجريفا لرام بسرور:

سوف نساند بعضنا البعض في كل شيء.

وفرح راما بهذا الكلام فقال:

يا ملك الفاناراس Vanaras! إنني أؤمن بان الصديق الحقيقي يقدم الخير لأصدقائه وأنا أعاهدك أمام هذه النار المقدسة بأنني سوف أقتل فالي، الذي أغتصب عرشك وزوجتك. وشعر سوجريفا بالسعادة عندما سمع كلمات رام وأشرق وجهه كالزهرة.

....

❖ قال سوجريفا لرام: " لقد أخبرني هانومانا بقصتك المحزنة وقد تعهدت بأن أبحث لك عن زوجتك سيتا Sita أينما كانت لذلك فإنني أرجو منك أن لا تفكر في فراقها ثم روى بعض أحداث جرت في الأيام القليلة السابقة فقال:

- شاهدت ذات يوم شريراً نحيفاً يحمل أمرأة بقوة، والآن تيقن أنها

زوجتك سيتا Sita وكانت وكانت تبكي بمرارة وتنادي فتقول:
- يا "راما" يا "لاكشمان" -
ولما رأتني ألقت لي بحليها وهاهي ما زالت معي وسوف أقدمها لك في الحال. ولما رأى رام ولاكشمانا الحلي عرف في الحال أنها حلّي سيتا Sita.

....

❖ واتجه سوجريفا ورجاله في اليوم التالي إلى كيشككندا وعسكروا هناك في الغابة بالقرب من المدينة وبتوجيه من رام تقدم سوجريفا إلى قصر فالي وتحداه في صراع، ورغم أن فالي تغلب على سوجريفا في بداية الصراع إلا أن سوجريفا لم يستسلم لأنه كان متأكداً من أن رام سيقتل فالي. وقف رام وراء شجرة كبيرة متهيئاً لقتال فالي لكنه لم ينجح في إصابته بسهم وهكذا عاد سوجريفا إلى رام وقد هزم من قبل فالي وقال لرام: أيها الصديق، لقد ظل فالي يضربني وأنت تنظر إلينا فقط وقد أخبرتك بأن فالي قوي كالموت.
فأجاب رام: يا سوجريفا إن كُلاً منكما يشبه الآخر ولم أستطع أن أميِّز مَن فالي ولذلك لم أطلق السهم.

....

❖ ثم وضع رام Ram إكليلاً من الزهور حول عنق سوجريفا وقال له:
"هذا الأكليل سيساعدني في معرفتك بسهولة فكن على ثقة من أن فالي لن يظل اليوم على قيد الحياة وسوف ينتهي خوفك

وعداوته لك في ميدان القتال بعد أن أطلق سهماً عليه، فإبعد عنك القلق والخوف".

أجاب سوجريفا: أيها الصديق، لقد جاء منتصراً في أكثر من معركة وهو يهدف دائماً للنصر وهو دائماً يستعد للمعارك فقال رام مؤكداً: أنت على حق أيّها الصديق ولكن تذكر أن الشخص الذي يفتخر بقوته لا يتحمل كلمات الإهانة خاصة إذا كان في صحبة نساء، ولذلك اذهب مرة أخرى وتحدى فالي في مبارزة، ولن يبقى حياً هذه المرة.

....

❖ لما رأى فالي Vali سوجريفا قادماً نحوه، احمرت عيناه من الغضب وقال وهو يستعد لتوجيه لكمة لسوجريفا: سوف أقضي عليك بضربة واحدة.

لكن سوجريفا لم يتمهل، بل إن الأخوين اشتبكا في قتال عنيف. وفي تلك اللحظة صوب رام سهماً على فالي الذي سقط على الأرض.

واقترب راما مع لاكشمان من فالي ووضع رأسه على حضنه، وسأله فالي رام: " هل قتلتني لسبب ما، لقد قتلتني بطريقة مدبّرة وهذا ليس فخراً لك فإنني لم أقصد قتلك فلماذا قتلتني؟!

....

❖ وبعد ذلك مات فالي Vali وأصبح سوجريفا ملكاً لمدينة كيشكندا عيّن " أنجاد" Angad ابن فالي Vali ولياً للعهد

وطلب هانومان من رام أن يشترك في حفلة تتويج سوجريفا لكن رام رفض أن يذهب إلى كشيشكنديا فقال:

لا يمكنني أن أذهب إلى أي مدينة أو قرية حتى تنتهي مدة نفيي فخذ معك لاكشمانا واجعله يقدم حفلة التتويج.

وصل سوجريفا مع انجاد Angad والوزراء الأربعة إلى كيشكندا واستقبلوا بحفاوة من قبل الجميع. ثم وضع عرش ذهبي على منصة مزينة بالورود والأوراق الجميلة وأجلس سوجريفا عليه وقام لاكشمانا بوضع التاج على رأس سوجريفا.

....

❖ بعد أن استعاد سوجريفا عرشه انشغل باللهو والمسرات ونسي وعده لراما، ولما تبين لهانوما ذلك توجه إلى سوجريفا وذكره بوعده لرام.

فقال: سيدي إن كل هذا المجد صنع بفضل رام وللأسف أنك نسيته، أجل نسيت صديقك العزيز، استعد لكي تفي بوعدك وتساعده في العثور على زوجته سيتا.

ففتح سوجريفا عيناه وأصابه الذعر وقال: ياهانومانا لقد أعماني السرور فنسيت وعدي، أرسل رجالنا في كل الاتجاهات حتى نعثر على سيتا Sita بأسرع ما يمكن ونخبر رام بذلك وبعد أن سمع هانوما هذا الكلام غادر القصر وجمع عدداً من أقوى الرجال ليقوموا بمهمة البحث عن سيتا Sita ثم نقل إليهم أمر الملك.

....

❖ توجه سوجريفا مع وزرائه وفريق البحث المؤلف من الرجال الأقوياء إلى رام ولما وصلوا ابتسم راما وقال لهم: إنني أحبك ياسوجريفا كما أحب أخي بهاراتا وأطلب منك أن تبدأ حالاً في البحث عن زوجتي سيتا.

فدعى سوجريفا إليه الرجال التالية أسماءهم:

سوجان	Sujan
أنجاد	Angad
جامفانت	Jamvant
هانومانان	Hanuman
نالا	Nala
نيل	Neel

وقال: يجب أن تتجهوا جميعاً نحو الجنوب وتبحثوا عن سيتا في كل مكان.

وقبل أن يبدأ الباحثون سيرهم اعطى راما خاتمه لهانومانا وقال له بصوت متواضع:

- إنك الوحيد الذي يمكنه العثور على سيتا، خذ هذا الخاتم، فإن سيتا سوف تصدق على الفور أنك رسولاً من قبلي عندما تراه.

فقال هانومانا:

- أرجو منك أن تباركني ياسيدي حتى تكون رحلتي ناجحة. وبعد أن قال هذه العبارة وأخذ الخاتم من راما غادر القصر مع الرجال الآخرين.

❖ وغادر الباحثون كيشكندا وانتشروا في اتجاهات مختلفة، وكان كل واحد منهم متحمساً ليكون له أسبقية العثور على سيتا.

وبحث الرجال في الغابات والمدن وعواصم عديد من الممالك عن سيتا وواجهوا الصعاب والمشاق في مهمتهم الصعبة لكنهم لم يفقدوا الأمل.

وكانت الغابات الكثيفة تحيط بمنطقة فيندهيا Vindhya فكان من الصعب اختراقها، لذلك فقد كان عبور هذه الغابات عملاً محفوفاً بالمخاطر، في الطريق إلى جنوب الهند.

....

❖ واتجه هانومانا مع "انجاد" يأمر من سوجريفا إلى جنوب الهند، وظلوا يبحثون عن سيتا دون جدوى، ثم فجأة شاهدوا سامباتي Sampati وهو شقيق جاتايو، وكان جالساً عن غصن شجرة يحملق فيهم.

فسألهم: هل تبحثون عن سيتا؟ لقد شاهدت "رافانا" يحملها إلى جزيرته لانكا Lanka.

فتقدم الجميع باتجاه البحر في الجنوب، لكن منظر الموجات الهائجة في المحيط اللانهائي أضعف معنوياتهم وطفقوا يفكرون كيف يتسنى لهم عبور المحيط والوصول إلى لانكا.

....

❖ وجلسوا على شاطئ البحر يفكرون، وقال أحدهم:

- "هذا المحيط يقف بيننا وبين لانكا فكيف نعبره؟".

فقال الآخر: هذا مستحيل! لايمكننا أبداً أن نعبر البحر، ثم قال جامفانت: Jamvant يجب أن نجد طريقة لعبور البحر، وأعتقد أنه بإمكان أحدنا عبور البحر والوصول إلى لانكا لمحاسبة رافانا على عمله.

فسأل أحد السامعين جامفانت: ومن هو هذا الشخص ياسيدي؟

فاجاب جامفانت: إنه ذلك الذي يمكنه أن يقفز أكبر قفزة.

....

❖ وجمع جامفانت كل الباحثين وسألهم: لنرى ما هي أطول مسافة يمكن أن يقفزها كل منكم.

فأجاب نيل: " يمكنني أن أقفز مسافة على بعد (٣٠٠) ميل ".

أما نالا فقال: يمكنني أن أقفز مسافة (٤٠٠) ميل ".

لكن أنجاد أكد قائلاً: أما أنا فأستطيع القفز ٥٠٠ ميل.

ثم التفت جامفانت لهم وقال مشجعاً:

- أيها الرفاق، إنكم جميعاً رجال شجعان، اشداء، ومقاتلون إننا نريد أن نعود منتصرين، فمن منكم يرضي رام ولاكشمانا وسوجريفا بعبوره العظيم للبحر؟

....

❖ ولكن ولم يكن منهم قوياً جداً ليقوم بالمهة المطلوبة، لأن هانومانا كان وحده لديه المقدرة على القيام بهذه المهمة الصعبة، فاتجه إليه جامفانت وقال له:

- يا هانومانا، ليس هناك غيرك لهذه المهمة، فلماذا أنت صامت؟
هل تشكّ بقوتك ومقدرتك الفائقة؟.

لكن هانومانا ظل صامتاً.

وعاد جامفانت يشجعه قائلاً:

- إنك قوي مثل سوجريفا وذكي مثل راما ولاكشمانا، وأنت أقوى شخص من الفاناراس Vinaras، وأنت تتحلى بالصبر الشديد، فلماذا لا تتقدم لعبور المحيط؟

....

❖ لكن هانومانا بقي ساكناً لايتحرك،فبدأ جامفانت يروي قصة طفولة هانومان فقال:

كنتَ ذات يوم في حضن والدتك أنجانا Anjana، ولما رأيت الشمس القرمزية تشرق اعتقدت أنها فاكهة طازجة وقفزت إلى السماء كي تمسك بها، ولما مددت يدك لتمسك بالشمس، غضب الإله إندرا ورمى غضبه عليك، فسقطت على الأرض فاقداً الوعي، لكن والدك إله الريح لم يستطع تحمل ذلك فسكنت الريح، وأوشكت العوالم الثلاث أن تنتهي.

فاقتربت عندئذ الآلهة من الاله شيفا الذي واساهم وقال لهم:

- لنذهب جميعاً إلى إله الريح ونطلب منه أن يكون رحيماً.

....

❖ واتجهت كل الآلهة إلى إله الريح وقالت:

- لقد ابتلع ابنك الشمس وأنت قد أوقفت الريح، وكل العوالم سوف

تنتهي، فَنَرْجُو أن تكونَ رحيماً فتجعل الريح تهب حتى لايموت أحد ،وسوف نمنح لك هدية مقابل ذلك.

فوافق إله الريح وقال:

أيها الإله، بارك ابني حتى تكون له القوة الدائمة وألهمه الحكم والتوفيق.

وما لبثت كل الآلهة ا، منحتك النعم، فأعطاك " براهما " Brahma، القوة، أما أجني Agni فقد جعلك لا تتأثر بالنار، أما إندرا Andra فقد جعل جسمك شديد الصلابة، بينما منحك فارونا Varuna نعمة عبور البحر وغير ذلك، دون أي صعوبة. وقال جامفانت مشيراً إلى البحر:

- إذن قم يا هانومانا واقفز فوق البحر فأنت تملك سرعة عظيمة لا يضاهيها أحد.

....

❖ ولما سمع هانومانا كلمات جامفانت نهض واقفاً وقال:

- سوف أطير ياجامفانت إلى لانكا وأعود بعد العثور على سيتا زوجة رام.

وبعد أن قال هانومانا هذه العبارة تغير إلى هيئة عملاق وقفز إلى السماء.

ولما رأى أنجاد "هانومانا" يقفز إلى السماء اغرورقت عيناه بالدموع وقا: إننا بين الشيطان والبحر العميق، فلو عدنا دون العثور على سيتا فإن الملك سوجريفا سيضرب أعناقنا جميعاً.

ولما سمع الباحثون كلام أنجاد Angad قالوا بصوت واحد:

- لن نعود إلى كشكيندا إلا إذا حصلنا على شيء من المعلومات عن سيتا، لقد ذهب هانومانا إلى لانكا ليعثر على سيتا، ونحن يجب أن نبقى هنا وننتظر عودته.

....

❖ طار "هانومانا" باقصى سرعته فوق البحر، ولما رأى الباحثون شجاعته وسرعته الفائقة نسوا حزنهم وعاد إليهم السرور فأخذوا يرقصون في فرح، وهللوا لهانومانا وبدأوا يصيحون من الفرح.

فقالوا: أيها الشجاع هانومانا، لقد أزحت عنا أحزننا ونتمنى لك النجاح في مهمتك، وسوف يقف كل واحد منا على يقف كل واحد منا على رجل واحدة حتى تعود لأن حياتنا رهينة بنجاحك في العثور على سيتا، فليرافقك النجاح.

ولما رأى جامفانت هانومانا يطير بسرعة فائقة فوق البحر، أخذ يخفف من حزن " انجاد" ويروي له قصصاً طريفة للترفيه عنه.

....

(٧)

قصــة مشــوقة

❖ كان هانومانا يطير بسرعة فوق البحر عندما ظهرت أمامه فجأة قمة جبل ووقفت حاجزاً في طريقه فغضب هانومانو وسدد لكمة قوية للجبل وفي تلك اللحظة بالذات؟ ظهر وجه لإنسان منها فدهش هانومانا دهشة كبيرة وقال: "من أنت ولماذا تقف في وجهي"؟

- أناجبل ميناك Mainak، لقد ساعدني والدك مرة ولذلك فقد أتيت لأرد لك الجميل، إن أمامك طرق طويل ولابد أنك متعب، فيمكنك أن تستريح فترة من الزمن عليّ.

فقال هانومانا: أشكرك لكنني لن أستريح حتى أنتهي من عملي الذي أرسلت من أجله. ثم تابع مسيره.

....

❖ لم يكن هانومانا يبتعد مسافةً قصيرة حتى ظهرت له متاعب جديدة فقد كانت هناك شيطانة بحرية تبحث عن الطعام ولما رأت ظل هانومانا على سطح الماء فرحت وقالت لنفسها: " لدي وجبة

كبيرة اليوم". ثم أمسكت الشيطانة وكان اسمها سنهيكا Sinhika ظل هانومانا فوجد نفسه يرتفع باتجاه فمها بقوة خفية، وكانت الشريرة تجرّ دائما الطيور إلى فمها وتأكلها أما هانومانا فلم يكن من السهل الإمساك به وقد أخذ يضرب وجه الشيطانة بقدمه ضرباً عنيفاً.

....

❖ لكن هانومان لم يستطع أن ينقذ نفسه فابتلعته الشيطانة في بطنها لكنه استطاع أن يمزق بطنها ويخرج منه سالماً، وعندما خرج هانومانا امتحنته سورسا Sursa وهي مقيمة في العالم السفلي، ونجح هانومانا في هذا الامتحان فانحنى لها ثم ودعه قائلاً: " أماه إنني أتركك الآن".

فباركته سورسا وقالت: لقد أرسلني الإله لأختبر مقدرتك وحكمتك، وقد تبيّن أنك رجل قوي ولذلك فسوف تؤدي المهمة التي أوكلت إليك من قبل راما.

وبعد أن قالت سورسا هذا الكلام انصرفت، وأصبح هانومانا قادراً على عبور البحر دون مواجهة أخرى.

....

❖ بعد أن عبر "هانومانا " البحر وصل إلى "لانكا "، وكانت الجدران الأربعة المحيطة بالمدينة عالية جداً، ومصنوعة من الذهب المطعم بالأحجار الثمينة،وكانت أمواج الميحط تضرب الجدران بقوة،ووقف عمالقة لهم اشكال مخيفة يحرسون بوابات المدينة.

وقرر هانومانا أن يدخل المدينة بطريقة سرية في الليل حتى لا يراه الحراس، فغيّر شكله إلى شكل شيطان ودخل مدينة لانكا.

وبعد أن تجول في معظم أنحاء المدينة صعد إلى سطح أحد الحصون ولاحظ فخامة المدينة. وأخذ يفكر بمهمته فاستغرق في تفكير عميق، وقال لنفسه:

- كيف يمكنني أن أحدد مكان سيتا زوجة رام في هذه المدينة الكبيرة؟

....

❖ وما لبث هانومانا أن توصل إلى قصر رافانا، وكانت تحيط به حديقة صغيرة، ودخل هانومانا إلى الحديقة وتسلق شجرة عالية، وتعلق بغصن مرتفع، وبدأ يفكر فقال لنفسه: هل يمكن أن تكون سيتا في هذه الحديقة؟ وأمضى بقية الليل في الحديقة على تلك الشجرة.

وفي الفجر، نظر هانومانا حواليه في الحديقة فرأى سيتا جالسة تحت إحدى الأشجار، ففرح جداً وقال في نفسه:

- إنها تجلس في تفكير متأمل، ربما كانت تفكر في زوجها، ولكن لماذا هي محاطة بهذا العدد الكبير من النساء الشريرات؟.

وفجأة سمع إحداهن تقول:

- " لقد قرر ملك لانكا أن يجعل منك زوجة له وملكة، فدعي عنك الحزن والبس هذا الثوب الفخم، إن ملكنا " رافانا " سوف يأتي إلى هنا قريباً فاستعدي لاستقباله ".

❖ في تلك اللحظة وصل " رافانا " إلى الحديقة حيث كانت سيتا جالسة، فلما رأته النساء الشريرات انحنين له وغادرن الحديقة، واقترب رافانا من "سيتا" وقال لها: لماذا تفكرين في راما الذي لا يملك من القوة إلا القليل، وكذلك من الجاه والثراء والشهرة، إنه لا شيء إذا قورن بي، ليس أمامك شيء غير القبول بزواجي منك.

ولما رأت سيتا "رافانا " بقربها، وضعت قشة بينها وبينه وقالت:

- " لايمكن لأحد أن يفرق بيني وبين زوجي، طالما الشمس لا تفرق عن ضوئها، فمن الأفضل لك أن تسلمني إلى زوجي وتطلب السماح منه، فهو رحيم جداً وواسع الأفق، وسوف يعذرك على مافعلته".

....

❖ فغضب الملك عندما سمع كلام سيتا وقال لها:

- إن كلامك المعسول أثار غضبي لا عطفي، ولا يمكنني أن أصبر عليك أكثر من ذلك، وأعطيك مهلة شهرين، فإذا لم توافقي على الزواج مني، فإن طباخي سيقطعك إرباً ويطبخ لحمك ثم يقدمه لي طعاماً.

فقالت سيتا بجرأة: إن من يهين زوجة صالحة لن يهرب من موت مخزي إذا شرب الرحيق.

- ألم تسمع عن قوتي؟ إنني استطيع أن أرفع الأرض بيدي، وأستطيع أن أخترق الشمس، وأستطيع أن أحارب إله الموت أيضاً، فهل يستطيع زوجك رام أن يواجهني؟ إمحيه من ذاكرتك.

- أيها الشيطان الأحمق! لماذا لا تنسى أنك خطفتني بالقوة؟، كم

أنت جبان، عليك أن تموت من الخزي والعار أيها التعيس! ولم يجب رفانا على كلام سيتا العنيف، ومضى منصرفاً يلعن نفسه في غضب.

....

❖ بعد أن انصرف رافانا، أتت مجموعة من الشريرات إلى الحديقة، وبدأن في تهديد سيتا وتخويفها، وحاولت بعضهن إقناعها بقبول "رافانا " كزوج، فقالت إحداهن:

ـ لماذا لا تحاولين إسعاد مليكنا يا رافانا؟

وسألتها أخرى: كيف تتحدين أوامره؟

وأقترحت أخرى:

ـ " إذا تزوجت من مليكنا تصبحين ملكة "لانكا"، أفلا يُسعدك هذا ".

وكانت إحداهن تدعى تريجاتا Trijata، وهي عاقلة فقالت لزميلاتها: أيها الصديقات، لقد حلمت حلماً مزعجاً الليلة الماضية، فقد رأيت قرداً كبيراً يأتي من مكان ما ثم يحرق مدينتنا لانكا كلها ويقتل جيش رافانا.

لهذا فأنا أقترح عليكن ألاّ تضايقن سيتا بأي شكل من الأشكال وإلاّ تعرضنا للمتاعب والمشاكل.

....

❖ بعد أن انصرفت هذه الفتاة، حزنت سيتا وقالت لنفسها: " ليس لديّ خيار الآن، ويجب أن أنهي حياتي بأي وسيلة. ولكن بعد وصل

هانومانا إلى الشجرة التي كانت تجلس تحتها سيتا، وجدها حزينة جداً بسبب فراقها لرام، فأخذ هانومانا يروي قصة رام بصوت لطيف:

- ذهب رام مع أخيه لاكشمان ليطيع أوامر أبيه واصطحب معه أيضاً زوجته سيتا، ثم خطف رافانا سيتا، لكن صديقاً لرام من جماعة " الرافانا Ravana توجه للبحث عن سيتا،وإنه من المبهج أن يجدها اليوم بالذات.

فدهشت سيتا لدى سماعها كلام هانومانا، وسألت هانومانا الذي كان جالساً على الشجرة:

- من هو الذي يروي قصة زوجي في ارض العفاريت؟.

أجاب هانومانا:

- أنا خادم متواضع لزوجك رام.

....

❖ ثم ناوله "هانومانا" خاتم رام لسيتا وقال لها:

- هاهو الخاتم الذي أعطاه لي راما حتى تتعرف عليّ.

ففرحت سيتا وقالت:

- كيف حال زوجي؟ وكيف حال لاكشمان؟ هل كل شيء على ما يرام؟

- إنهما بصحة جيدة لكنهما قلقان من أجلك، ولكن عليك بالصبر أيتها السيدة المبجلة، ولو كانا يعلمان شيئاً عنك لأنقذاك منذ وقت بعيد، ولكن دعي القلق فسرعان ما يصلا إلى هنا مع

جيشهما فيقتلان كل العفاريت وينقذاك من أيديهم.

فشعرت سيتا بالفرح والارتياح بعد أن علمت أن رام بخير.

....

❖ نظرت سيتا إلى هانومانا وأعربت عن شكوكها فقالت:

إن جنود رام لابد أن يكونوا صغار الحجم بينما العفاريت كبار الأجسام وأقوياء، فكيف تستطيع أن تدافع عن نفسك تجاههم.

ولما سمعت سيتا هذا الكلام، وجدت أن هانومانا غير شكله فأصبح عملاقاً مخيفاً، وعندما رأته تأكدت من قوة رجال راما وأعوانه، فباركت هانومانا وقالت له:

- أرجو لك أن لا تصبح عجوزاً، وأن تكون إنساناً خالداً له قيم عظيمة شريفة.

وفجأة رأى هانومانا أشجاراً محمّلة بالفاكهة الطازجة فقال لسيتا:

- أشعر بالجوع الشديد،لقد سال لعابي عندما رأيت هذه الفاكهة فهل آكل منها قليلاً؟

لكن سيتا قالت:

- إن الحديقة تحرسها الجنيات المخيفة، ولن يسمحن بهذا، فكيف تواجهن؟

....

❖ فقال هانومانا: إن لا أخشاهن مطلقاً، خاصة عندما تكون بركاتك لي.

ثم أنحنى لسيتا واتجه إلى أشجار الفاكهة، وبدأ في جمع الفواكه واكلها، وقلع بعض الشجيرات أيضاً، ولكن الجنيات اللواتي كن يحرسن الحديقة منعته من الإضرار بالحديقة، فهاجمهن وقتل كثيرات منهن. أما الباقيات فقد هربن منه واتجهن إلى بلاط رافانا الملك وقدمن شكوى ضد هانومانا:

- أيها الملك، لقد أتى إلى حديقتك الملكية قرد عملاق، وقد سطا على الحديقة وقلع الأشجار وفتك بالفواكه.

وقتل أيضاً عدداً من حارسات الحديقة.

ولما سمع رافانا هذا، أرسل ابنه الأصغر أكشاياكومار Akshaya Kumar مع بعض الجنود للإمساك بهانومانا.

ولما رآهم هانومانا " قلع شجرة من الحديقة وألقاها على جنود رافانا، فقتل أكشاياكوما ر، وبعض الجنود الآخرين، أما بقية الجنود فقد هربوا خوفاً على أنفسهم.

....

عندما وصل العفاريت إلى القصر قالوا لرافانا:

أيها الملك، إن هذا القرد شجاع جداً وقوي، فقد قتل ابنك وكثيراً من الجنود، ولا يبدو أن من السهل القضاء عليه.

وعندما عرف الملك أن ابنه قد مات، أحمّر وجهه غضباً وأمر ابنه الأكبر ويدعى ميجهاناندا Meghanada، بالتوجه إلى الحديقة الملكية والقبض على القرد، ومعرفة حقيقته.

فتوجه ميجهانادا إلى الحديقة الملكية ومعه بعض الرجال، لكن

هانومانا عاد فهاجم العفاريت وقتل بعضهم لكن البعض الآخر جرح فقط.

ولما رأى ميجهانادا ذلك، أخذ يطلق السهام علىهانومانا إلا أن هانومانا لم يصبه أي أذى منها.

وأقتلع هانومانا إحدى الأشجار وألقاها بغضب على ميجهانادا.

....

❖ وعندئذ استعمل ميجهانادا سلاحاً إلهياً فاستطاع أن يوقع بهانومانا على الأرض، فابتسم هانومانا وقال لنفسه: هذا العفريت الأحمق لا يعرف أنني أستطيع التخلص من مصيدته بسهولة، لكنني أريد أن أواجهه.

ولما رأى ميجهانادا هانومانا راقداً بين جنوده قال:

أمسك هذا القرد وقدمه للملك لانكا.

فقال: نعم يا سيدي، ثم أمسك بهانومانا وساقه إلى بلاط رافانا، وفرح ميجهانادا فرحاً كبيراً، واتجه إلى داخل قصره.

....

❖ وقال رافانا وهو ينظر في غضب شديد إلى هانومانا:

أيها القرد التعس، من أنت؟ لقد سطوت على حديقتي، ألا تعرف من أنا؟ ألا تخشى الموت؟

فقال هانومانا:

أنا مبعوث من عند الملك سوجريفا، وقد أنتهت أيامك الطيبة وبدأت أيامك السيئة، يجب أن تكفر عن سيئاتك الآن، ويجب أن

تعيد سيتا إلى زوجها راما، واطلب العفو منه على ما اقترفته من الذنب العظيم.

وعندما سمع رافانا هذا الكلام غضب غضباً شديداً وصاح بجنوده:

خذوا هذا التعيس واقتلوه فهو لا يعرف شيئاً عن قوتي وبأسي.

❖ عندما سمع شقيق رافانا فيبهيشانا، وكان رجلاً عاقلاً، قال لأخيه:

ـ ليس من الحكمة أن تقتل رسولاً، أرجو أن تطلق سراحه.

عندئذ أمر رافانا جنوده قائلاً:

ـ حسناً، إن لا تقتلوه بل شوهوه، اربطوا قليلاً من الخرق حول نخاية ذنبه واشعلوا فيها النار، ثم سيروا به في شوارع العاصمة.

لكن هانومانا لم يقل شيئاً رداً على ما قاله رافانا، فأدار ذنبه حوله وجلس عليه بهدوء.

وحاول العفاريت أن يرفعوا هانومانا من مكانه، لكنهم لم يستطيعوا ذلك، وأمر رافانا جنوده بمساعدة رفاقهم وإطاعة أوامراه بحرق ذيل هانومانا.

....

❖ فاندفع كثير من جنود " رافانا " نحوها نوماند ورفعوه ثم بدأوا يربطون خرقاً مبللة بالنفط حول ذيله، لكن هانومانا كان يزيد من طول ذيله، فاضطرب الرجال وأخذوا يحضرون مزيداً من الخرق.

وأخذت النار تتصاعد من الذيل، فأخذ العفاريت يرقصون فرحين.
فقال رافانا عندما يعود هذا القرد إلى سيده دون ذيل، سوف يخجل كثيراً، وربما أتى إلى هنا غضباً، ولا يهدأ لنا بال حتى نراه.

....

❖ وقيد العفاريت ايدي هانومانا بحبل وقادوه في شوارع لانكا. ولما صول الموكب إلى مركز المدينة، اجتمع حشد من الناس ليشاهدوا هانومانا، وأخذ الناس ينظرون إلى ذيله الذي كان يحترق ويقهقون، وحاول البعض أن يغيظوا هانومانا، ويضربوه. وعندما وصل الموكب إلى بوابة العاصمة، أرجع هانومانا حجمه إلى الحجم الصغير واستطاع التخلص من كل الحبال والقيود.
ولما رأى العفاريت الصغار والنساء تغير حجم هانومانا، خافوا منه وهبت ريح قوية، وكان هانومانا يقهقه ضاحكاً، وعندما سمع الباقون صوته، سرت فيهم موجة من الخوف، وأخذ الأطفال والنساء يبكون بمرارة ويقولون:
- من سينقذنا من هذا القرد؟ لقد قلنا من قبل إن هذا القرد ليس قرداً عادياً، ولابد أن تكون له قوة خارقة فقد أتى ليقضي علينا.

....

❖ وأخذ هانومانا يقفز على أسطح المنازل، فامتدت النار إلى هذه المنازل واستعاد هانومانا شكله الضخم وأخذ يدور راقصاً، واشتعلت المدينة باسرها بالنار، حتى وصلت إلى قصر "رافانا"،

فأخذ الموجودون يبكون ويولولون، وركضت النساء وهن يحملن أطفالهم على أذرعهن، ولم ينج من الحريق إلا بيت واحد هو بيت فيبهيشانا، وهو شقيق رافانا الأصغر الذي دافع عن راما وتعصب له، وكان في هذا معجزة، فقد أحب كل مواطني لانكا راما مثله.

....

❖ أخذ الناس في لانكا يصيحون طلباً للنجدة، ولم يعرفوا ماذا يفعلوا لينقذوا أنفسهم من النار التي كادت تحول المدينة بكاملها إلى رماد. وأخيراً توجه الناس الى مليكهم " رافانا " وقالوا له:

- أيها الملك أنقذنا من هذه النار المخيفة، فقد أحرقت كل ما عندنا. لكن رافانا كان عاجزاً عن إنقاذهم، وكان ينظر إلى النار وهي تحرق مدينته بعيون حيرى وذهن شارد. وأخذ الناس يهمسون لبعضهم البعض:

- إن ملكنا شخص شرير وقد ارتكب خطأ فادحاً باختطافه زوجة شخص آخر ومايحدث الآن لابد أن يكون انتقاماً منه.

....

❖ وفي كيشكندا، كان الملك سوجريفا يجلس إلى جانب رام الذي كان يائساً، وقال له رام: لقد ذهب الشخص الذي أرسلته في كل الأقاليم شرقاً وغرباً وشمالاً، فلم يعثر على أثر لسيتا في أي مكان، فهل رسلنا الذي أرسلناهم إلى الجنوب سيأتون أيضاً بأيدي خاوية؟ فردّ سوجريفا قائلاً:

- كن على يقين يا سيدي من ان القسم الذي أرسل إلى الجنوب بقيادة الشجاع هانومانا سوف لن يرجع بدون سيتا وفي تلك اللحظة شاهدا قرداً يسير نحوهما، ولما رآه لاكشمان قال لرام:

- أنظر يا أخي هناك دادهيموخ Dadhimukh، يسير نحونا، ولابد أن لديه أنباءاً سارة.

....

❖ ولما وصل دادهيموخ إلى سوجريفا جلس إلى جانب ملكه وقال:

- يا صاحب الجلالة، أنا حارس بستان الفاكهة وأدعى مادهوفانا وقد سطا على هذا البستان هانومانا وأنجاد ورفاقهما، وقد أكلوا كل الفواكه الموجودة فيه أيضاً.

ولما سمع لاكشمان هذا الكلام فرح فرحاً عظيماً وقال:

- يبدو أن هانومانا قد تتبع سيتا ووجدها بالفعل، وعندئذ سمح لرفاقه بالتعبير عن فرحهم بأكل فواكه الحديقة.

وأمر سوجريفا دادهيموخ:

- إذا كان الأمر هكذا فدعهم يستمتعون مثلما يريدون فقد أدوا مهمة عظيمة، اذهب وأحضر هانومانا إلى هنا.

فقال " داد هيموخ " سمعاً وطاعة يا سيدي.

....

❖ عندما وصل هانومانا، نهض راما وعانقه ثم قال:

- كيف استطاعت سيتا أن تحمي نفسها؟

أجاب هانومانا:

- إن اسمك يا سيدي هو الذي حمي سيتا في الليل والنهار، إن ذكراك هي التي تحميها فكيف يمكن أن يصيبها أي ضرر؟ ثم ناول هانومان تذكار سيتا لراما.

فقال راما: عزيزي هانومانا، لا أعرف كيف أرد لك الجميل.

فقال هانومانا:

- أعطني بركتك حتى استمر في خدمتك إلى الأبد.

(٨)

قصة المعركة

❖ أخبر هانومانا راما عن Sita سيتا وقال له:

- " إن سيتا تريد أن يصان شرفها، وأن تقتل بيدك رافانا وتنقذها منه".

فقال راما:

- سوف أتوجه يا هانومانا إلى لانكا وأقتل رافانا في الحال، ثم استدعى سوجريفا وطلب منه أن يبدأ استعداداته لشن الحرب على رافانا. ولما سمع سوجريفا كلام رام استدعى في الحال قائد جنوده المدعو نيل Neel وطلب منه أن يستعد للسير بجيش فانارا كله.

وبعد أن تلقى نيل أمر الملك جيشه بالتقدم نحو لانكا، فرفع الجنود رام ولاكشمان على أكتافهم وتابع الجيش مسيره نحو شاطئ البحر.

....

❖ ولما شجع راما جيشه، ارتفعت روحهم المعنوية، فاستطاع أن

يتغلب على كل الصعوبات وواصل الجيش مسيره فعبر البحر البعيد.

ومضى النهار وأقبل الليل، وكان هناك مدّ مخيف في المحيط فكانت أمواجه هائجة، فعسكر الجيش عند شاطئ البحر، وتحمس أفراده لعبور البحر في الصباح الباكر، وكان البحر يبدو بأمواجه كما لو كان يقفز من الفرحة.

....

❖ في تلك اللحظة شاهد لاكشمان بعض الجنيات في السماء، فنهض وقال لراما:

- أخي، انظر هنا، هناك بعض العفاريت في السماء ويجب أن نستعد لمواجهتها. غير أنّ هؤلاء أتو دون أن يكون لديهم أي شيء يدل على الشر أذ كان معهم فينبهيشانا الأخ الأصغر لرافانا الذي طرد من لانكا، فاتجه إلى راما وقال له:

- أنا شقيق رافانا يا سيدي، وقد نصحته كثيراً بأن يحرر زوجتك ويطلب منه العفو ولكن دون جدوى.

ولم يكتفي بهذا، بل طردني من لانكا. ولما سمع سوجريفا كلام فيبهيشانا، قال سوجريفا:

- أعتقد أن في الأمر شيئاً مريباً ومن الأفضل أن لا نستمع إليه لكن راما أجاب:

- لكنني لا أستطيع أن أرفض إيواء من يرغب في ذلك، فهذا تقليد في أسرتنا المالكة، وهكذا استقبل راما فيبهيشانا بترحيب في

معسكره.

....

❖ تحدث راما طويلاً مع فيبهيشانا وعرف منه القوة الحقيقة لرافانا، إذ قال له:

- إن رافانا يمكن أن يتخفى بفضل منحة أسبغت عليه من براهما، أما ابن رافانا ويدعى "ميجهانادا " فعندما يلبس القفازات المصنوعة من الجلد الشائك ويحمل سلاحاً لا يخترق، فيصبح غير مرئي في ميدان القتال.

وقال راما عندما سمع كلام فيبهيشانا:

مهما كان رافانا قوي فيجب أن أقتله.

....

❖ وقرر راما أن يصلى لإله البحر فقال: " أرجو منك ياإلهي أن تجعلنا قادرين على عبور البحر حتى يصل الجنود إلى الشط الآخر للبحر ".

ثم جلس على الحشيش ومدّ يديه وظل يصلي مبتهلاً للإله ثلاثة أيام وثلاثة ليالي، لكن الإله لم يرد.

ففقد راما صبره وغضب فقال لأخيه: لم يظهر الإله رغم الصلوات المستمرة.

....

❖ وقال أيضاً: " أخي، إن السلام والرفق لن يكون لهما أي أثر في الانتصار بأي معركة، لذا فسوف أترك طريق السلام وألجأ

للعنف، سوف أقتل كل الحيوانات البحرية في المحيط وسوف تغطي أجسادها سطح البحر بكامله.

ثم نهض وأخذ سهماً ووضعه في القوس، ثم خاطب إله الماء قائلاً:

ـ لقد رأيت أن صبري ضعف مني، ولكن الآن سوف أجفف ماءك حتى يستطيع أفراد الفانارا أن يعبرو البحرعلى أقدامهم.

....

❖ عندما استعد راما لرمي سهمه اصاب الأرض مثل الزلزال وفقدت الجبال توازنها وساد الظلام في كل مكان، وبدأت السماء ترتعد وتبرق واشتدت الرياح القوية الأشجار وأخذت الريح تزمجر بشكل مرعب.

ولما شاهد إله المياه هذا، ظهر في الحال من البحر ووقف أمام راما، ثم قال له بصوت لطيف:

ـ أهدأ أيها السيد، إن " نالا" و"نيلا" خبيران في البناء ويمكنك استخدامهما في بناء جسر من الحجارة فوقي وسوف أتحمل ثقله.

وبعد أن قال هذا اختفى عن النظر.

....

❖ وبدأ كل من "نالا" و "نيلا" في بناء جسر فوق الماء، ولما شاهد راما الجسر وقد أصبح جاهزاً قال لهما:

هذا الجسر الذي بنيتماه جميل جداً، ولسوف نقيم احتفالاً دينياً بهذه المناسبة لنشكر الإله شيفا، ونبني له معبداً في هذا المكان، قبل التوجه مع جيش " فنارا" إلى الشاطئ الآخر للبحر.

ولما سمع سوجريفا هذا أرسل في طلب النساك والمتعبدين وقاموا بالطقوس الدينية اللازمة للاحتفال بهذه المناسبة.

....

❖ بدأ جيش فنارا مسيرته عبر البحر، وأخذ بعض الجنود يقفزون في الماء ويتقدمون وهم يرتكزون على أطراف الجسر، وأخذ البعض الآخر يطير فوق الجسر، وكانوا يسيرون جميعاً فوق الجسر بطريقة نظامية.وكانت أصواتهم وصيحاتهم التي تشير إلى شن الحرب، تعلو على صوت أمواج البحر العنيفة.

وما لبثوا أن وصلوا إلى الشاطئ الآخر للبحر، ولما شاهد سوجريفا توفر الماء والفواكه وثمار الغابة ونباتاتها فرح وأمر جيشه بأن يعسكر في هذه المنطقة.

ثم قال راما لسوجريفا:

- أيها الصديق، يجب أن نشن هجوماً كبيراً في هذا اليوم بالذات.

ثم تولى راما قيادة الجيش وتبعه كل من سوجريفا وفيبهيشانا اللذين كانا ينفذان الأوامر.

....

❖ شاهد جواسيس لانكا جنود راما يعسكرون على جبل سوفيلا Suvela، أسرعو إلى رافانا وقالوا له:

- أيها الملك، لقد وصل راما بجيش كبير يبدو أنه قوي جداً لا يمكن أن يهزم.

ولما ادرك رافانا " حقيقة الوضع أخذ " فيديوجينها " Vidujinha

وهو عفريت قوي له قوى خارقة عجيبة وأدخله الحديقة حيث كانت سيتا موجودة وقال له:

- أيها العفريت الكبير، أرجو أن تأتي لي برأس وهمي لراما لتراه سيتا وستوافق على الزواج مني عندما تتأكد من موته.

واستطاع العفريت أن ينفذ ما طلبه رافانا، وأخذ رافنا رأس راما ورماه إلى سيتا وقال لها:

- لقد هزمنا بالأمس جيش "فنارا " وقد قتل زوجك وهاهو رأسه أمامك.

ولما رأت سيتا راس راما وقعت على الأرض وأخذت تبكي بحزن عميق.

....

❖ وانصرف رافانا، فأتت جنية تدعة سارما Sarma، وأخذت تتحدث إلى سيتا وتواسيها:

أهدئي يا سيتا ولا تنخدعي بحيل رافانا فهذا الرأس غير حقيقي ولكنه رأس مسحور وزوجك موجود الآن بالقرب من لانكا.

فدهشت سيتا وسألتها:

- هل هذا صحيح؟ إنك نبيلة يا سارما.

فقالت ساراما:

- بالتأكيد هذا صحيح، إن رافانا سيء في أفعاله وفي أفكاره الشريرة فلا تقلقي أبداً، لقد وصل راما ولاكشمان مع جيش كبير وقد رأيتهم بعيني.

❖ وأمر راما بدق طبول الحرب حتى يعرف "رافانا" أن الهجوم قد بدأ على لانكا، ولما سمع رافانا ذلك قال:

" لقد سمعت أن راما قد عبر بجيشه البحر وهو قوي وشجاع، ونحن أضعف منه بكثير".

واستمع العفريت ماليفان Malyavan لكلام رافانا فردّ عليه قائلاً:

- إن تقاليدنا تأمر بأن الملوك الأشداء يجب أن يكسبوا الحرب بواسطة الصداقة والمودة، لذلك يجب أن تعيد سيتا إلى راما وتطلب صداقته. فأجابه رافانا:

- ماذا! هل تعتبر أن رام أقوى مني، إنه لن يعود إلى بلده حياً، وماذا سيفعل بهذا الجيش الصغير؟.

....

❖ كان "رافانا " الشرير يعمل ما يعود عليه بالهزيمة والخراب، فلم يستمع إلى أي نصح وغضب ثم قال:

- أنا ملك العفاريت أقوى ملك، وسوف ترون كيف أهزم جيش "فنارا" وأقتل سوجريفا وراما ولاكشمان.

ثم أستشار "رافانا " مساعديه ورجال جيشه وبدأ باعداد الترتيبات للدفاع عن لانكا، فكان على القائد براهاست prahast مسؤولية حراسة البوابة الشرقية للبلدة، أما البوابة الجنوبية فقد أوكل أمر حراستها إلى محاربين قويين هما ماهودار وماهابراشفا Mahadar & Mahaparshva وكان القائد ميجهانادا

Meghanada هو الذي أمر بحراسة البوابة الغربية، وقرر كل من شوكا وسارانا ورافانا أن يصعدوا إلى السطح ليعترفوا على مدى قوة راما واستعداداته للقتال.

....

❖ كان جيش راما يعسكر على جبل سوفيلا، كما ذكرنا سابقاً، ولما رأى راما سوجريفا "رافانا" يقف على قمة الحصن، صعدا إلى أعلى قمة في جبل سوفيلا وقال راما:

- "انظر يا صديقي إلى رافانا هناك، إنه يراقب جيشنا بحرص.

ولم يستطع سوجريفا أن يصبر عندما رأى رافانا واقفاً على سطح الحصن، فغضب غضباً شديداً وقفز من الجبل إلى حيث كان رافانا يقف، وبلطمة واحدة اختطف تاج رافانا ورمى به من على السطح.

وفوجئ رافانا بهذه الحركة المفاجئة من سوجريفا.

....

❖ بعد ذلك عاد سوجريفا إلى معسكره ثم تشاور مع راما، وقررا تقسيم الجيش إلى أربع أقسام وأمر بالهجوم على لانكا من كل الجوانب وأخذت صيحات النصر وطبول الفرح تدق، النصر لراما، النصر للاكشمان، النصر لسوجريفا.

فسرت موجة من الخوف في لانكا، استدعى على أثرها رافانا قواد جيشه وقال لهم: لقد ارسل الله لنا غذاءاً إلى عندنا، اذهبوا واقتلو جيش الفنارا.

فهجم جيش رافانا على كل أفراد جيش الفنارا، لكن راما ولاكشمان تمكنا من قتل كل جيش العفاريت بسهامهم التي لا تخطئ.

....

❖ وبعد وقت قصير تبعثر شمل العفاريت من خوفهم كما تتبعثر السحب أوان هبوب الريح العاصفة، وسمعت الصيحات من كل جانب، أما النساء والأطفال فقد صاحوا يائسين، وحملوا "رافانا" مسؤولية ما حدث. ثم أرسل رفانا ميجهانادا Meghanada ليواجه جيش راما، فحارب هذا مع جيشه ولكن دون فائدة، وسقط كثير من الجنود وهم يحاربون، فشعر ميجهانادا بالعجز، ثم استعمل قوته الخفية السحرية، فجعل نفسه غير مرئي وبدأ يطلق السهام على راما ولاكشمان، فسقط كلاً من الشقيقين بعد أن فقدا الوعي على الأرض.

....

❖ وكان راما ولاكشمان غارقان في بحار من الدم ويتلويان من الألم الفظيع وشعر أفراد " الفانارا" بالألم لرؤيتهما في هذه الحالة، فأخذوا يذرفون الدموع وشكّلوا حلقة حولهما.

وفي هذه اللحظة بالذات استعاد راما وعيه وتذكر جارودا Garuda مساعدة الإله فيشنو، فجاءت وأكلت كل الأعداء، وبلمسة من ريشها انتعش كلاً من الشقيقين وعادا بصحة وعافية جيدة، وشفيت في الحال جراحهما.

وتحدثت جارودا Garuda إلى الأخوين فقالت لهما:

- يجب أن تكونا أكثر حذراً في المستقبل فهؤلاء العفاريت ماكرون جداً. ثم طار مبتعداً عنهما.

....

❖ لما شفي راما ولاكشمان استؤنفت الحرب على الفور، فأرسل "رافانا" قائديه وهو مراكاش Dhumraksh وبراهاست Prahast إلى ميدان القتال، وارتفعت صيحات الحرب من كلا الجانبين وترددت أصداؤها. وحدثت معارك قوية بين قائدى رافانا و جنود الفانارا، وكان كلاً من رام ولاكشمان يجلسان على كتفي هانومانا ويقاتلان العدو.

واستطاع الفانارا أن يتغلبوا على العفاريت وهرب قائدا رافانا لينجوا بحياتهما، ولما رافانا القائدين يعودان توجه بنفسه إلى ميدان القتال وتحدى راما بصوت مخيف.

....

❖ ولما سمع راما تحدي رافانا بدأ يطلق السهام نحوه، وبعد قليل تحطمت عربة رافانا، وقتل الجياد، كذلك فقد كسر سهم رافانا ووقع تاجه على الأرض.

وأظهر راما خلقه الحربي الحقيقي بعطفه على خصمه:

- لن أهاجمك يا رافانا طالما أنت تحارب ولكن يبدو أنك قد تعبت، انصرف الآن إنني أتركك على قيد الحياة ولن أقتلك.

ولما سمع رافانا كلام رام وقف صامتاً فلم يستطيع أن يتكلم

ويقول شيئاً، ثم أحنى رأسه في خجل شديد، وعاد إلى المعسكر.
ومن ناحية اخرى تتبع هانومانا القائد دهومراكش وبراهاستا وقتلهما.

....

❖ لما أحس "رافانا" بالهزيمة أمام راما، استدعى رجاله وقال لهم:
- لقد أدركت أن قوة رام كبيرة أمام قوتي، ولهذا يجب أن ألجأ إلى قوة كومبهاكارانا Kumvhakarana، اذهب وأيقظه.
وكان كومبهاكارانا هو الشقيق الأصغر لرافانا، وكان ينام ستة أشهر في السنة، ودق الجنود الطبول وأخذوا يحدثون أصواتاً ليوقظوه، لكنه رغم كل هذه الأصوات ظل مستغرقاً في نومه، وكان شكله كالتل الكبيز، فأحضرت الفيلة وذلك لتوقظ كومبهاكاوانا، وعندئذ فقط استيقظ من النوم.

....

❖ أرسل "رافانا" بعد ذلك كومبهاكارانا إلى ساحة القتال، فأخذ يقتل جنود جيش فانارا، فركضوا خوفاً منه، ولم يواجهه منهم أحد إلا راما، فصوب عليهم سهامه، وعندئذ ثار كومبهاكارانا وغضب وهجم على راما الذي سدد نحوه السهام فاخترقت جسمه، وتمزقت ذراعاه وفصلتا عن جسده، وبعد ذلك قطع راما راس كومبهاكارانا بضربة قوة، فطار رأسه بعيداً حتى سقط أمام رافانا في قصره.
وحين رأى رافانا رأس أخيه أمامه جنّ جنونه وغضب غضباً شديداً.

❖ وبموت كومبهاكارانا خارت عزيمة جنود العدو وزادت قوة جيش الفانارا، ووصل ميجهانادا إلى ساحة المعركة في عربة تركبها سيتا، فدهش جيش الفانارا وصاح جنوده بصوت عال:

ـ انظروا، هل هي سيتا؟

وهجموا على ميجهانادا، ولكنه سحب سيفه وقال:

ـ قفوا، إذا تقدم أحدكم خطوة واحدة فسوف أقتل سيتا هنا وأمام أعينكم.

فركض جنود الفانارا ليخبروا راما ولاكشمان بالخطر الذي يهدد حياة سيتا، وفي هذا الوقت قرر ميجهانادا أن يجعل نفسه غير مرئي.

....

❖ لما سمع راما أخبار جنود فانارا فقد صوابه ولكن عندما استعاد وعيه بعد قليل وجد أمامه فيبهيشانا يواسيه ويخفف عنه قائلاً:

ـ سيدي، إنها ليست سيتا الحقيقية، بل هي مزيفة وقد جاء بها جنود رافانا بقوة سحرية، فانهض واقتله قبل أن يتمكن من متابعة خدعه وحيله.

ووصل ميجهانادا ليواجه لاكشمان، غير أنه لم يتمكن من تحمل الضربات وسقط ميتاً على الأرض، صاح جنود الفانارا صيحات النصر فقالوا:

ـ النصر لراما، النصر للاكشمانا.

....

(٩)

قصة المعركة

❖ عندما علم "رافانا" بسقوط ميجهانادا في ساحة القتال ثار غاضباً واندفع بنفسه نحو ميدان المعركة، وفي هذا الوقت كان جيش فانارا فرحاً بنجاحه وكان " فيبهيشانا هو الذي نقل نبأ سقوط ميجهانادا لراما، إذ قال له:

ـ لقد قتل لاكشمان ميجهانادا.

وعندما علم رافانا بأن أخاه فيبهيشانا قد انضم إلى جانب راما، بلغ غضبه إلى أبعد الحدود، وقرر أن يتخلص من فيبهيشانا ويقضي عليه. وعندما رأى رافانا فيبهيشانا، لم يستطع أن يضبط نفسه فضرب سهماً نحو أخيه، إلا أن لاكشمانا أطلق سهماً آخر نحو رافانا فقطع سهمه إلى قسمين، وهكذا أنقذ فيبهشانا من القتل.

....

❖ لكن "رافانا " زاد غضبه وأخذ يطلق السهام على جنود الفانارا

بقسوة، فسرت موجة من الخوف في جيش راما وبدأ أفراده يسقطون وفكروا في الهرب وفقد الآخرون حماسهم.

ولما شاهدهم هانومانا ثار غاضباً،وحمل عصاه واسرع لمواجهة حاكم لانكا، وبدأ بقتل الجنود في جيش رافانا، وعندما رأى جنوده يموتون، هجم على هانومانا بسهامه، لكن هذه السهام لم تضره.

....

❖ وقُتل كبار القواد في المعركة، وهم من جيش "رافانا"، مثل فيروباكس Virupakshوماهودار Mahodar وماهابارشفا Mahaparshva وشعر رافانا بالخيبة والغضب الشديد، فأمر سائق العربة بأن يسوق العربة وقال له:

ـ تقدم، إلى الأمام، لقد قتل كبار القواد في جيشي وهم يحاربون، ولن أعود إلى لانكا إلاّ بعد قتل راما ولاكشمانا.

ثم استخدم سلاحاً أخذ يحرق به أجسام جنود الفانارا وهم أحياء فتساقط معظمهم في ساحة القتال، وعندما شاهد راما ولاكشمانا جنودهما على هذا الشكل قرروا مواجهة رافانا، وجرت معركة حامية فتساقطت السهام من كل النواحي وقتل جنود من الجانبين بأعداد كبيرة.

....

❖ وهنا استخدم راما ولاكشمانا أكثر الأسلحة قوة وكانت هذه الأسلحة مرعبة، وأصاب منها عربة رافانا فقتل سائقه وفي هذه

اللحظة وصل فيبهشانا واشترك في القتال فساعد لاكشمانا بأن قتل الجياد التي كانت تجر عربة رافانا.

وثار حاكم لانكا ثورة كبيرة وأخذ يصيح:

ـ إنك يا لاكشمانا تفخر بمحاربتك، وقد أنقذت بالأمس فيبهيشانا من القتل، ويجب أن أواجهك الآن، سوف أستخدم ضدك سلاحاً خفياً، يرسلك إلى أرض الموتى فكن مستعداً لذلك.

ثم ألقى رافانا هذا السلاح على لاكشمانا، فجرح وسقط على الأرض مغشيا عليه، ولما شاهد راما أخاه بهذا الوضع حزن من أجله حزناً عميقاً.

....

❖ وفي الحال سحب راما السلاح من صدر لاكشمانا، وقال لكل من هانومانا وسوجريفا:

ـ ضع حزاماً قوياً حول لاكشمانا، لن أترك رافانا علىقيد الحياة.

ثم أخذ يطلق السهام على رافانا فأصابه بجراح عديدة، وذعر الباقون مما شاهدوه فأخذوا يرتعدون.

وكان "راما " يقاتل بعنف، فكانت السهام تخترق جسد رافانا كريح قوية تفتت السحاب إلى قطع صغيرة.

ولم يستطع رافانا مواجهة راما فهرب من ميدان القتال.

....

❖ عندما هرب رافانا، وضع راما رأس اخيه في حضنه، وكان هانومانا قد أحضر الطبيب سوشين Sushen، بينما كان

لاكشمانا يرقد فوق بركة من دمائه النازفة، وكان يعاني من الألم الشديد، فقال راما للطبيب:

- سيدي، إن أخي جرح جرحاً بليغاً، انظر، إنه يتلوى من الألم وأنا قلق جداً من أجله فأرجو منك أن تفعل ما يخفف عنه هذا الألم.

فهدأ الطبيب راما وقال له مخففاً عنه:

- ليس هناك خوف عليه يا سيد رام، ويكفي أن ترسل هانومانا إلى جبل ماهوداي ليحضر من هناك عشباً أسمه (سانجيفاني) ينمو على القمة الجنوبية للجبل، وهذا العشب سوف يخفف من ألم لاكشمانا ويحييه من جديد، ولكن يجب أن يصل هنا قبل شروق الشمس،.

فأقنع رام هانومانا بالذهاب وإحضار العشب بأسرع ما يمكن، وفي الحال توجه هانومانا للقيام بهذه المهمة.

....

❖ ولما علم رافانا بأن هانومانا سيحضر العشب الذي سينقذ حياة "لاكشمانا"، أرسل جنياً يدعى كالنيمي Kalnemi ليمنع هانومانا من الوصول إلى جبل ماهودايا Mahodaya، فحوّل الجني نفسه إلى ناسك وجلس في طريق هانومانا، وأخذ يتوسل إلى راما، أما هانومانا فلما شاهد كوخ الناسك طلب منه ماءاً، فأرشده كالنيمي إلى بحيرة قريبة من ذلك المكان.

وعندما شرب هانومانا من هذه البحيرة انقض عليه عقرب ضخم فأمسك برقبته، لكن هانومانا قتل العقرب بضربة واحدة، وفي

تلك اللحظة تحرر العقرب من لعنة كانت قد أصابته وعاد إلى شكله الحقيقي وقال:

- لقد حررتني من اللعنة، لذلك سوف أعلمك بسر، هو أن الناسك الذي قابلته اليوم ما هو إلا جني أرسله رافانا ليضلك.

فعاد هانومانا إلى كالنيمي وقتله ثم وصل إلى جبل ماهودايا، وفشل في التعرف على العشب المطلوب، فحمل قسماً من الجبل معه وعليه بعض الأعشاب النامية.

....

❖ كان الوقت ليلاً عندما طار هانومانا فوق آيودهيا ومعه الجبل في يده، لكن بهاراتا Bharata ملك آيودهيا ظنه جنياً فأطلق عليه سهماً ليقتله، وأصاب السهم هانومانا الذي سقط على الأرض وهو ينادي "رام" ولما سمع بهاراتا اسم أخيه رام أسرع إلى هانومانا وسأله:

- من أنت أيها الأخ؟

قال هانومانا: أنا خادم متواضع عند راما، وأحمل إليه العشب الذي سينقذ حياة أخيه لاكشمانا.

ثم روى هانومانا كل ما حدث لبهاراتا فعانقه بهاراتا واعتذر له عن إطلاقه السهم عليه، ثم قال:

- أيها الأخ إن النهار سوف يحل قريباً، فضع هذا السهم والجبل وسوف أجعلك تصل إلى راما في لحظة.

ووافق هانومانا، وقام بهاراتا بما طلب منه.

❖ لما رأى راما، أن هانومانا وصل في الوقت المناسب فرح جداً، ووضع هانومانا قطعة الجبل على الأرض، ثم قال للطبيب:

- لم أستطع أن أميز العشب، وقد أحضرت هذه القطعة من الجبل فأختار العشب الذي تريده.

فانتقى الطبيب العشب المطلوب وأطعمه للاكشمانا الذي شفي على الفور ونهض، وفرح كل أفراد الفانارا بشفائه.

أما بالنسبة لراما فإن الفرحة كانت عظيمة بشفاء أخيه فعانقه وقال:

- يا لاكشمانا، لقد وهبك هانومانا حياة جديدة، ولو كان قد حدث لك شيء مكروه لمتّ حزناً عليك.

....

❖ عندما سمع رافانا أن لاكشمانا قد تعافى تماماً، أرسل يطلب محاربيه وقال لهم:

- سوف أواجه أعدائي بنفسي الآن، جهزوا لي عربتي التي تتحرك بسرعة الريح.

وبعد قليل، توجه رافانا بعربته إلى ساحة القتال متبوعاً بجيشه المؤلف من أربعة أجنحة.

والتحق بهم أيضاً محاربون آخرون توجهوا بعرباتهم إلى ميدان القتال، وأحدث سير جيش رافانا سحباً من الغبار ولم يعد بالإمكان رؤية الشمس من خلالها، أما البحر فقد اصبح هائجاً، وفقدت الجبال توازنها، وبدأ صوت أبواق الحرب كما لو كانت

السحب ترعد في يوم القيامة.

وسرعان ما تواجه الجيشان وفي لمح البصر بدات السهام تنزل كالمطر من كلا الجانبين، ولما رأى فيبهيشانا رافانا في عربته أصيب بالذعر فاتجه إلى راما الذي كان واقفاً على الأرض.

....

❖ قال فيبهيشانا لراما:

ليس لديك يا سيدي عربة ولا سلاح فكيف ستنتصر على رافانا القوي، فابتسم راما وقال:

- إن الثقة بالنفس هي عربتي، القوة والمعرفة وضبط النفس والنية الطيبة هم عجلاتها الأربعة، أما العفو وحسن التصرف أو السلوك الجيد في الحبال التي تربط بها جياد العربة.

أما الثقة بالله فهي السائق بينما الرضا والإحسان هما سيفي وفأسي. أما مبادئي هي السهام التي أستخدمها، أما إخلاصي للبراهمة ولمعلمي هو سلاحي الذي لا يقهر، فأي وسائل أخرى للنصر يمكن للمرء أن يتوق إليها؟.

واصبح وجه رافنا مسوداً من كثرة الغضب، فانقض على جيش الفانارا وبدأ بقتل الجنود الذين تساقطوا على الأرض.

أما جنوده فقد ألقوا وابلاً من السهام علىجنود راما وسقط معظمهم في أرض المعركة وهرب بعضهم إلى راما لينجدهم.

ولما تبين لاكشمانا الوضع، أسرع لمواجهة رافانا.

....

❖ وبعد أن قاتل رافانا بعض الوقت، عاد إلى قصره وبدأ في استخدام الـ Yajna ليصبح غير مرئي، وعلم فيبهيشانا بذلك فذهب إلى راما وقال له:

إذا نجحت هذه الطريقة فلن يتمكن أحد من قتله، فمن الأفضل أن نعيقه عن أستخدامها فنجعله فاشلاً.

وبأمر من راما، توجه هانومانا وأنجاد إلى قصر افانا وقالوا له:

أيها الجبان! لماذا هربت من ساحة المعركة؟ ولماذا تحاول أن تكون هنا ناسكاً؟.

ولما سمع رافانا هذا الكلام، عاد إلى ساحة القتال، وقام بمواجهة راما الذي حثه فيبهيشانا على إطلاق وابل من الأسهم عليه.

وفصل راما رؤوس رافانا وأذرعه عن جسده.

فسقط جسم رافانا الذي أصبح بلا رأس، بصوت مكتوم، وبعد أن تلوى لبضع دقائق من الألم أصبح بلا حركة.

لما رأى فيبهيشانا أخاه ميتاً، حزن عليه لكن راما واساه وقال له:

أهدأ يا فيبهيشانا، وقم بالطقوس الدينية اللازمة لأخيك، ففعل فيبهيشانا ذلك لدى عودته إلى لانكا. وعادت الملكة ماندوداري Mandodari وغيرها من الملكات إلى القصر فامتدحن راما لشجاعته وعظمته.

وفي اليوم التالي أمر راما ولاكشمانا بالتوجه إلى لانكا مع سوجريفا، وأنجاد وهانومانا ونالا ونيلا وجامفانت ويقوموا بتتويج فيبهيشانا لأنه لم يكن مسموحاً له هو (أي راما) بالتوجه أو

الدخول إلى أي مدينة أو قرية.
فذهب لاكشمانا مصحوباً برجال آخرين إلى لانكا وقاموا بتتويج فيبهيشانا على عرشها بعد احتفال كبير.

....

❖ وبعد تتويج فيبهيشانا، أرسل رام يطلب حضور فيبهيشانا وأنجاد وقال لهما: يجب أن تذهبا كلاكما مع هانومانا وتحضرا سيتا إلى هنا بكل احترام.
فذهبوا إلى سيتا وانحنوا أمامها، وأحضروها إلى راما. وقال هانومانا لرام:
- لقد فرحت سيتا كثيراً بانتصارك، لكنها لا زالت مكتئبة قليلاً، فكن لطيفاً واذهب لاستقبالها بنفسك.
فاتجه راما إلى سيتا بعيون دامعة، وكانت في ذلك الوقت تبدو هادئة جداً، فنظرت إلى راما بدهشة ولكن بقلب ملؤه الحب والسعادة.

....

❖ وشعر راما بسعادة غامرة لرؤية سيتا، وقال لها بلطف:
أيتها الحبيبة، لقد أنقذتك من سجن العدو وقتلته في ميدان القتال، ولكن يجب أن نفترق الآن قليلاً عن بعضنا، لأن الشخص النبيل لا يقبل أن تعود إليه زوجته بعد أن تكون قد قضت وقتاً في بيت شخص آخر.
وكان لكلمات راما تأثير قوي على سيتا، كما لو كانت تلقت

ضربة قوية، فبكيت بمرارة ثم قالت:
- صحيح أنني كنت في سجن رافانا، لكنني لم أكن أفكر في أحد غيرك، كم أنا سيئة الحظ لأن زوجي يشك في طهارتي، فلماذا أعيش إذن؟
ثم قالت سيتا التي كانت طاهرة نقية الفكر، موجهة حديثها إلى لاكشمانا:
- طبقاً لمعتقدات الدين، أرجوك أن توقد النار في الحال.
فأطاع لاكشمانا سيتا، وما لبثت سيتا أن أخذت تصلي لإله النار:
- إن شرفي بين يديك، فساعدني على تقديم الدليل عن إخلاصي لك، ولتكن وخزتك لي باردة كشجر الصندل.
ثم جلست سيتا فوق النار فرحة.
ولما شاهد الحاضرون هذا أخذوا يصيحون في ألم، وكان هناك صراخ، لكن راما وقف ساكناً يحملق في سيتا، بمجرد دخول سيتا النار، انطفأت النار وحدها.

....

❖ وظهر إله النار من بين النيران وقال لراما:
- إن زوجتك سيتا، سيدة طاهرة وهي تقية ومستقيمة في أفعالها ومظهرها، ولم تقترف أي خطأ أو شر، كما أنها لم تفكر في احد غيرك ولا للحظة واحدة، لذلك فيجب أن تقبل عودتها إليك.ثم قدّم سيتا إلى زوجها راما.
وكانت سيتا في ذلك تبدو جميلة، فبشرتها كانت تشبه الشمس

المشرقة ونزينتها الذهبية تزيد من سحر جمالها.
وحين شاهد الحاضرون مقدار جمالها شعروا بالسرور، وبدأوا يثنون عليها.

....

❖ وتقدم راما إلى سيتا مخاطباً إياها بندم واضح:
- أيتها الحبيبة أرجو أن لا تغضبي مني، فلم أشك إطلاقاً في طهارتك، ولكن لو أن شخصاً أخر شك مثل هذا الشك لكان هذا غير محتمل بالنسبة لي ولك، فهذه المحنة كانت ضرورية، رغم أنني كنت أعرف أن إخلاصك كان قوياً فقد حماك من أي عين شريرة، سواء كان رافانا أو غيره.
ثم أخذ يدي سيتا في يديه وانصرفا، أما هي فقد صرفت عنها الحزن وأصبحت سعادتها كبيرة برفقة زوجها العزيز.
وكان الجميع سعداء برؤية الزوجين معاً مرة اخرى.

....

❖ وقال فيبهيشانا لراما:
- سيدي! إن مدة نفيك قد أنتهت، فأرجو أن تبارك منزلي بزيارتك لي مع زوجتك!
فقال راما:
- إن دعوتك لنا لطف منك، لكنك تعلم أنني دائم التفكير في بهاراتا الذي ربما يتطلع بشوق لعودتي، وإذا تأخرت عنه دقيقة واحدة فلن يحتمل ذلك.

إنه يقوم بواجبات الملك، لكنه يعيش كمتصوف أو ناسك، وأي تأخر مني في الوصول إلى آيودهيا ربما أدى به إلى الموت، ولهذا فيجب ان أغادر هذا المكان.

وأرسل فيبهيشانا يطلب عربة هوائية فركب فيها كل من راما ولاكشمانا وسيتا واتجهت نحو "أيودهيا"، وطارت العربة الجوية فوق ساحة القتال التي اندهشت سيتا لرؤيتها.

ثم قام راما بإرشادها إلى الجسر الذي كان مبنياً فوق البحر وإلى معبد شيفا Shiva الذي بناه على شاطئ البحر.

....

❖ كان بهارات يعد الأيام المتبقية من مدة نفي راما بفارغ الصبر، وكان قد بقي يوم واحد على إنتهاء هذه المدة، فجلس مستغرقاً في التفكير، وقال لنفسه:

- لم يبق سوى يوم واحد وتنتهي مدة نفي شقيقي راما، ولم تصل بعد أية أخبار عنه.

وفي تلك اللحظة ظهر هانومانا على هيئة شخص من البراهمة، ولما رأى حالة بهاراتا أشفق عليه، وانحنى له وأخبره بقرب وصول راما قائلاً:

- أرجو أن يعرف كل من في القصر وكذلك الحكيم فاسيستا بذلك: وكانت سعادة بهاراتا كبيرة لدى سماعه هذا الخبر، فأعلم كل من في القصر، وكل الشعب الموجود في آيودهيا، فعمت موجة من الفرح والسرور في طول المدينة وعرضها، وأخذ

الناس يستعدون لإستقبال أميرهم.
وأقيمت الزينة في مدينة آيودهيا، ووقف الناس يحملقون في المكان الذي كان سيمر منه راما.

....

❖ لما دخل راما إلى أرض أيودهيا،خاطب أنجاد Angad وفيبهيشانا Vivhishana، وقال لهما:

- انظروا! إن هذه المدينة هي مسقط رأسي، ومياه ساريو Saryu مياه مقدسة بالنسبة لي، وهي تمنحني هدوءاً في التفكير، كما أن شعب آيودهيا أعزّ عليّ من حياتي.

فقال فبهيشانا " بعد أن أخذ قبضة من التراب ووضعها على جبينه:

- إننا محظوظون لأننا موجودون في هذه الأرض المقدسة.

وأمتلأت عينا راما بالدموع عندما نظر إلى بهاراتا مع غيره من الأشخاص الذين جاءوا للترحيب به، وعانق الشقيقان بعضهما عناقاً حاراً، وذرفا دموع الفرح، أما شاتروجهنا ولاكشمانا فقد عانق كل منهما الآخر أيضاً، ثم انحنيا أمام سيتا، وعبر لاكشمان عن محبته العميقة لبهاراتا.

....

❖ عندما وصل راما إلى أيودهيا استدعى الحكيم فاسيستا ورجال البلاط، وكذلك استشار البراهمة المعلمين وقال لهم:

- إن هذا اليوم، يوم عظيم، فقد عاد راما سالماً ومعافى بعد أن قضى ١٤ عاماً في المنفى، فتشاوروا في أمر تتويجه، هل يصح أن

يتوج اليوم أم لا؟.

ولما سمع الناس هذا تحدثوا كلهم بصوت واحد: الحدث السار أيها الحكيم الموقر! لا يجوز تأخير هذا إطلاقاً بل يجب أن يتم التتويج اليوم.

فخلع كل من الحكيم فاسيستا، راما وسيتا ولاكشمانا ثياب الغابة، واستحموا ولبسوا ثياباً ملكية جديدة.

ثم أجلس راما على العرش، وتمت مراسم تتويجه بالطريقة الملائمة، وتعالت الهتافات:

- النصر لراما وسيتا.

....

❖ وبعد ذلك اجتمع راما مع رجال البلاط كملك لآيودهيا، وكان بين الحاضرين كل من سوجريفا، أنجاد وغيرهم من جيش " الفنارا"، فخطب فيهم راما قائلاً:

- لقد خدمني كل منكم خدمات كبيرة، وكنتم قد تركتم اهلكم من أجلي، بل إنكم فضلتم القيام بخدمتي على الراحة، فأنا ممتن لكم، وأرجو منكم التفضل بالعودة إلى أهلكم وخدمة أقربائكم وذويكم في بلادكم لأنهم بحاجة لكم الآن.

فانفعل الفنارا " انفعالاً كبيراً ووقفوا صامتين، ثم أكمل راما حديثه لهم فحدثهم عن الحياة الدنيوية، ووزع عليهم هدايا قيمة ونفيسة، وودعهم.

....

(١٠)

قصة أوتارا Uttara

❖ قدم راما هدايا نفيسة لكل الجنود من الفانارا، حينما كانوا على وشك مغادرة "آيودهيا " بعد حضور حفل تتويجه، وكان الجميع على استعداد للسفر غير أنّ هانومانا كان متردداً، فسأله سوجريفا:

ـ ألا تذهب معنا؟

فقال هانومانا: سيدي، ألا تسمح لي بالبقاء هنا والقيام بخدمة راما؟

فتساءل سوجريفا:

ـ يبدو أنك شديد التعلق براما أكثر من أي شخص آخر، ولكن هل بإمكانك البرهنة على صدق إخلاصك ومودتك؟

ولما سمع هانومانا هذا الكلام وتذكر راما وسيتا، قام بتمزيق صدره بأنامله، وعندئذ برزت صورة لراما وسيتا على صدره، فدهش الجميع وأثنوا على هانومانا.

وكان سوجريفا شديد التأثر حتى أنه قال:

- إنك نموذج للقيم النبيلة، وإخلاصك لراما لا مثيل له، ولهذا فإنني أحررك من جميع القيود والارتباطات معنا وبإمكانك البقاء هنا إذا كانت هذه رغبتك.

....

❖ وهكذا بدأت أيام حكم راما حيث كان الجميع سعداء وكان الناس يتعاونون مع بعضهم البعض ويرعون شؤون وقوانين الدين والمجتمع، فلم يكن أحد يعاني من شيء ولم يكن أحد يعتدي على غيره.

وتحرر الناس من المرض والفقر، أما الألم والجهل فلم يقتربامن المملكة إطلاقاً، وكان الناس يتحلون بالفضائل والآداب، والضعيف والقوي يعيشان متحابين، حتى أن الطيور والحيوانات كانت تحب بعضها البعض، أما الأرض فكانت تعطي محاصيل ونباتات غنية، مليئة بالفواكه اللذيذة والأزهار الجميلة.

أما الأنهار فكانت ملأى بمياه عذبة، والجبال كانت غنية بالأحجار الكريمة، وكان هذا العصر هو العصر الذهبي في تاريخ الهند، إذ كان الناس سعداء وناجحون.

❖ وكان لدى راما تقليد يومي متبع، وهو أخذ حمام في مياه ساريو **Saryu** في الصباح، ثم اقامة الصلاة، وبعد ذلك الاستماع إلى موعظة من معلمه فاسيستا حول شؤون الدين والدنيا وواجبات الحاكم المثالي، وكان راما يتناول وجبات الطعام دائماً بصحبة إخوته.

وبعد عودته إلى البلاط يبحث في شؤون المملكة، وكان يحب رعيته حباً من صميم قلبه، لهذا كان من عادته التحدث مع أفراد الشعب للتعرف على متاعبهم، وكان يتخذ الخطوات لكي ينصفهم قدر الإمكان وبأسرع ما يكون.

وكان النساك والمتعبدون الذي يعيشون في مناطق مجاورة لأيودهيا يزورون عاصمة مُلك "راما".

وحين شاهد هؤلاء ما كان عليه شعب أيودهيا من رخاء ونعم تمنوا لو أنهم يتركون الحياة في الغابة ويستقروا في آيودهيا.

....

❖ كان راما يعقد اجتماعاً لرجال بلاطه كل مساء، وكان الجواسيس يخبرونه بكل شيء عن الحوادث والمتاعب التي يتعرض لها الناس، وذات يوم قدم أحد هؤلاء المخبرين إلى راما وانحنى أمامه كالعادة، لكنه جلس صامتاً، فشكّ راما في الأمر وقال له:

- " لاتحف، بل قل كل ما عندك دون أي تردد، فإنني أريد أن أكون على علم بكل ما يحدث لأي فرد من شعبي وما يتعرض له من متاعب ".

فقال الرجل:

- أرجو معذرتك يا سيدي " ثم بقي صامتاً كما لو أن لسانه قد ألجم عن الكلام.

لكن رام قال:

- لماذا لا تخبرنا بما عندك من أخبار؟ هل هي أخبار سيئة؟ قل ما

عندك، دون خوف أو تردد. فقال الرجل بصوت متلعثم:

- "إن غسالاً كان يتحدث إلى زوجته فذكر شيئاً لا يليق فيما يتعلق بملكتنا".

....

❖ ولما أُمر الرجل بأن يقول كل شيء بالتفصيل قال:

- سيدي، لقد مررت خلال جولتي اليومية ببيت أحد الغسالين، فسمعت الكلمات القاسية التي كان يقولها الغسال لزوجته، ولما سمعتهما أردت أن أعرف تماماً ماذا يقولا فأصغيت إليهما جيداً.

فقال "راما": قل كل شيء بوضوح ".

قال المخبر:

- لقد خدع أحدهم زوجة الغسال واختلى بها في مكان بعيد، وعندما عادت في اليوم التالي قالت كل شيء لزوجها الذي ثار غاضباً وقال:

- أيتها الخائنة! إنني رجل عادي، ولست رجلاً ذا سطوة مثل راما، الذي قبل زوجته سيتا حتى بعد أن ظلت في سجنه أسيره لمدة طويلة من الزمن، فانصرفي عني في الحال، ليس لك مكان هنا في بيتي.

أنهى المخبر كلامه وظل صامتاً.

....

❖ فسأله راما بهدوء:

- وماذا حدث بعد ذلك؟ هل سمح لها الغسال بالبقاء في بيته أم لا؟

أجابه المخبر:

- "كلا يا سيدي، لقد طردها ".

فصرف راما رجال البلاط، وعاد إلى قصره قوي القلب، فإن كلمات الغسال التي تتعلق بسيتا لم تؤُثر فيه وفكر بهدوء وبرود حول الأمر وقال لنفسه:

- "يجب أن أنفصل عن سيتا لصيانة مبادئ الدين والمجتمع، ولكن يجب أولاً أن أتحقق من صحة ما قاله المخبر قبل أن أتخذ أي خطوة بهذا الشأن.

وطلب من جنوده التحقق من كلام المخبر ومعرفة ما حدث في بيت الغسال تماماً. فجاءته الأخبار من الجنود تؤيد ما قاله المخبر.

....

❖ ولم يستطع راما أن ينام بهدوء في تلك الليلة، وظل قلقاً طوال الليل، وعندما وصل إخوته لتحيته في الصباح التالي كالمعتاد، وجدوه حزيناً يائساً، فقلق إخوته بسبب ما شاهدوه من شحوب وجهه ومزاجه المتعكر، وشكّوا في أن يكون شيئاً سيئاً قد حدث.

وبعد قليل خاطب "راما" لاكشمانا" بصوت هادئ فقال:

- " أرجو أن تأخذ سيتا في الحال وتتركها في الغابة ".

فسأله لاكشمانا:

- ماذا حدث يا أخي؟ هلْ أخطأت؟ ولماذا قررت أن تتركها؟

- "هذه إرادة الله يا أخي، وماذكرته هو لخير الجميع، فإذا لم ينفذ أمري، سوف أنهي حياتي".

ولما سمع اخوة راما كلامه، وقفوا كالتماثيل جامدين.

....

❖ وقال بهارتا:

- إنني يا أخي شخص عادي وأنت لك معرفة غير محدودة، وأريد أن أعرف هل يمكن للسمكة أن تعيش بعيداً عن الماء؟ وهل ينمو الزرع دون مطر، وهل يمكن لسيتا أن تعيش بعيداً عنك الآن؟

فقال راما:

- إنك على حق يا بهارات، فأنا لست ابناً فقط وأخاً وزوجاً بل إنني حاكم أيضاً، والحاكم يجب أن يعيش كما يتوقع منه شعبه. ثم أخبر راما إخوته بقصة الغسال وما قله لزوجته.

ثم أردف قائلاً: إذا بقيت سيتا في القصر فسوف يكون هذا وصمة عار لمملكتنا.

فقال لاكشمانا:

- إن يقول هذا الكلام لسيتا يجب أن يذهب إلى الجحيم.

فقال راما:

- إذهب يا أخي ونفذ أوامري.

فأجابه لاكشمانا: وأنا هنا يا أخي لكي أنفذ ماتأمرني به، ثم توجه لاكشمانا في عربة مع سيتا واتجه بها إلى الغابة.

....

❖ لما وصل لاكشمانا إلىقلب الغابة طلب من راما أن تنزل من العربة، فدهشت راما من هذا الأمر وأحست بالخوف لرؤية الغابة

المرعبة من حولها وقالت:

- ليس هنا يا لاكشمانا أي صومعة أو معبد قريب، وهذه الغابة تسكنها الحيوانات المتوحشة المخيفة، فلماذا أحضرتني إلى هنا؟

أجاب لاكشمانا بصوت متلعثم:

- زوجة أخي الموقرة، لقد أمرني زوجك بأن أتركك هنا في الغابة، ولا يمكنني أن أعصى أمره كما تعلمين.

ولما سمعت سيتا هذا الكلام سقطت على الأرض مغشيّاً عليها.

وفي الحال تقدم لاكشمانا ليسعفها، لكن صوتاً إلهياً خاطبه قائلاً:

- اتركها يا لاكشمانا هنا وعُد إلى آيودهيا تاركاً سيتا في الغابة.

....

❖ عندما استعادت سيتا وعيها، نظرت إلى ما حولها فلم تر أثراً للاكشمانا ولا لعربته فقالت لنفسها:

- هل أرسلني إلى الغابة ليتخلص مني؟ لقد عانيت الكثير من قبل، وحتى الموت لم يكن مستعداً لاستقبالي، ثم أخذت سيتا تبكي بمرارة.

ومر بالصدفة ناسك يدعى فالميكي **Valmiki**، فلما سمع سيتا تبكي بمرارة تقدم إليها وسألها:

- من أنت، يا أبنتي؟ ولماذا أنت هنا وحيدة، ولماذا تبكي هكذا؟

قالت سيتا:

أنا سيتا، ابنة ملك جاناك **Janak** ملك مثيلا **Mithila**، وزوجة

الملك راما ، حاكم آيودهيا.

وحكت قصتها المحزنة للناسك.

....

❖ ولما سمع الناسك فالميكي قصة سيتا، لم يكتشف سبب إرسالها إلى الغابة من قبل زوجها راما فسألها:

- ولكن لم أعلم سبب طردك.

- وأنا نفسي لا أعلم هذا أيها الحكيم، لقد أحضرني شقيق زوجي إلى هنا في عربة وتركني حيث كنت أرقد فاقدة الوعي لأنه طردني دون سبب.

فقال الناسك:

- إن أباك جاناكا كان تلميذاً لي، فاعلمي أنك ستكونين في أمان يا ابنتي، دعي عنك القلق والحزن، واصبري فسوف يأتي زوجك ذات يوم ويأخذك بنفسه ويعيدك إلى قصره، فتعالي الآن معي إلى الصومعة التي أعيش فيها فسوف تبقين هناك.

وأخذ الناسك يعظ سيتا ويواسيها ثم أخذها إلى مسكنه.

....

❖ واتخذت سيتا من صومعة فالميكي بيتاً لها، وكانت تجلس يومياً أمام الناسك لتسمع موعظته، وكانت تحيا حياة بسيطة جداً ملأى بالاستقامة والصلاح. وكانت سيتا حاملاً فولدت بعد فترة صبيين، ولما سمع الناسك فالميكي هذا النبأ، ذهب إلى حيث كانت سيتا مع النساء فقال لهن:

- إن الصبي الذي ولد أولاً يجب أن يغسل بعشب (كوش **Kush**) بينما ينظف الثاني ببقايا النبات (**Lav**) لاف.
ولذلك فالأكبر سوف يدعى كوش والأصغر لاف.
وهكذا تمت تسمية التوأمين اللذين أنجبتهما سيتا.

....

❖ كبر التوأمان في ظل صومعة الناسك، وأطلقا اسماً على والدتهما هو "فانديفي" (إلهة الغابة)، وتلقيا التعليم على يد الكاهن فالميكي نفسه. فنشآ على هذا الشكل وكانا يخدمان الناسك بإخلاص عميق.
وألف الناسك أنشودة يحكي فيها الحكاية المحزنة لسيتا وجعل الصبيين يحفظانها.
فكان الصبيان ينشدان الأغنية بصوت حزين دون أن يدركا أن الأغنية تحكي قصة والدتهما نفسها، وأن اسم راما الموجود في الأغنية هو اسم والدهما.
وكانت القصة تصور الحكاية منذ نفي راما إلى طرد سيتا.

....

❖ وبدأ الناسك يعلم الولدين استعمال السلاح وفن الحرب والقتال، فأصبحا خبيرين في استعمال السهام، ونشآ على الشجاعة والجرأة.
وتعلما فنون كثيرة من القتال لا يعلمها غيرهما كفن الرماية، فقد كان الناسك فالميكي ماهراً في هذا الفن فعلمهما المهارة فيه.

ولما لاحظ الناسك أن التوأمين أصبحا ماهرين في استعمال القوس والرمح فرح فرحاً عظيماً، وقد كان فخوراً لأنهما تلامذته، ومن ناحية أخرى شعر بالسرور لأنه فكر في مواهبهما الكبيرة وفائدتها في الأيام القادمة، وكان الناسك يتنبأ بما سيجري من خلال إحساسه الداخلي الخارق.

....

❖ اتجه راما، ذات يوم، مع رئيس وزارئه سومانتا **Sumanta** وأشقائه الثلاثة إلى صومعة الناسك فاسيستا، وبعد أن انحتى أمام الناسك، قال:

أيها المعلم المحترم، لقد أديت كثيراً من الفروض الدينية (**yajnas**)، لكن رعيتي يلحون على أن أقدم تضحية بالحصان (أشواميدها **Ashwamedha**) قال الناسك لبهاراتا:

اذهب وابدأ بالاستعدادات لأداء هذه الفروض.

وبعد أن قال الناسك هذا، انصرف كل من بهاراتا ولاكشمانا وشاتروجهنا، ولما انتهت الاستعدادات، فرح راما والناسك فاسيستا، وأثنوا على جهود الأمراء الثلاثة في الاستعدادات الدينية.

....

❖ وأرسل راما يستدعي الرسل وأعطاهم بعض التوجيهات، ثم أرسلهم ألى عديد من الأمراء والملوك لإخبارهم بالاستعدادات لتأدية المراسيم الدينية، وتم كل هذا بالتشاور مع الناسك فاسيستا.

ووصل عدد من الملوك والحكام إلى آيودهيا للاشتراك في هذه الاحتفالات الدينية، وكان من بينهم سوجريفا، وجامفانت، نالا، ونيلا، كوبر، وفارونا، كذلك وصل عدد من النساك من بينهم الناسك فيشواميترا.

أما الملك جاناكا **Janaka**، فقد توجه إلى آيودهيا مع جيشه المكون من أربعة أجنحة وعدد كبير من النساك بما فيهم ناسكه الخاص شاتانادا **shatanada**، وأوكلت إلى بهاراتا مهمة استقبال الضيوف والاحتفاء بهم.

....

❖ وأحضر راما صورة ذهبية لزوجته سيتا، كما أوصى الناسك فاسيستا، إذ أن المراسم الدينية لا تكتمل إلا عندما تكون الزوجة جالسة إلى يسار الزوج الذي سيقدم الـ "يانا **yajna** "، وأثنى كل الحاضرين على صورة سيتا.

وانتدب بمائتي برهمي من المتعلمين لتلاوة بعض الأناشيد الدينية الـ **mantras**، وزخرف حصان جميل وأحضره إلى منصة الاحتفال، وهكذا بدأت هذه الاحتفالات في شهر ماجها **Magha** (كانون الثاني)، وقدم راما المواد إلى النار المقدسة وفقاً لتعليمات الكهنة.

....

❖ وبعد انتهاء الـ **yajna** أحضر الحصان إلى جانب النار المقدسة وقدمت العبادات اللازمة، ثم وضعت قلادة على جبين الحصان، وعلق على سرجه أيضاً إعلان بما يلي:

يعلن راما ملك آيودهيا تفوقه على كل الملوك، ومن يود أن يتحدى هذا الادعاء، يمسك بالحصان ويدعو مالك الحصان إلى الحرب، وإذا كان الادعاء مقبولاً، ترسل هدية سنوية إلى راما.

ثم أخذ راما سلاحاً خفياً من جعبته وناوله إلى شاتروجهنا ثم قال:

ـ أيها الأخ، اقترب من هذا الحصان ثم ارجع بعد الانتصار على كل الملوك.

فأخذ شاتروجهنا السلاح وقال:

ـ سوف أقوم بما تقتضيه الحاجة أيها الشقيق.

....

❖ توجه شاتروجهنا للقيام بهذه المهمة ممتطياً حصان الـ **yajna**، واصطحب معه فرقة قوية من الجنود، وكانت الفرقة تتألف من أربعة آلاف حصان، وألفي عربة وفيل وعدد كبير من الراقصين واللاعبين.

وأقيمت عند كل موقع منصة حتى يتوقف عندها القائمون بالرحلة كلما أرادوا الاستراحة، أما شاتروجهنا قد أعطي تعليمات خاصة بألا يسبب إزعاجاً لأي كان أثناء قيامه بالرحلة إلا إذا قدم أحد الأشخاص وتحدى الإعلان المعلق في سرج الحصان.

....

❖ حدث النزال الأول بين جيش رام ولافناسور **Lavnasur**، وهو جني قوي من زعماء العفاريت، الذي عصى الإله، وعصا عدداً من ملوك منطقته واستولى شاتروجهنا على عاصمة لافناسور الذي

وصل مع عدد كبير من أفراد جيشه لمواجهة شاتروجهنا، وتبع ذلك معركة مخيفة بين الفريقين. ولما رأى شاتروجهنا "لافناسور" تقتل جنود كوشالا **Kushala** أطلق سهم رامي مخفي عليه فسقط ميتاً على الأرض، وكنتيجة لهذا، فر جنوده وتقدم شاتروجهنا إلى الأمام.

وحين وصلت أخبار الانتصار على لافنا سور وموته، خفت كبرياء الملوك الأقوياء المعتدين بأنفسهم، وقبلوا جميعهم سيادة راما دون أن يعارضونه إطلاقاً.

واستمر شاتروجهنا في اتجاهه حتى استطاع أن يبسط حكم رام ويمده فوق كل منطقة أو بلد يمر به.

....

❖ ودخل شاتروجهنا غابة كثيفة، وكان الحصان الأبيض متبوعاً بجيش راما الذي يقوده شاتروجهنا، وهي نفس الغابة التي يوجد فيها معبد الناسك فالميكي، وحيث كان التوأمان كوش ولاف يعيشان مع والدتهما. وعندما رأى التوأمان الحصان الأبيض، أحباه، وقال لاف لشقيقه:

ـ انظر، يا كوش إلى هذ الحصان، ما أجمله! اتمنى لو أمسكت به واحتفظت به لنستخدمه في جولاتنا اليومية.

فقال كوش:

ـ حسناً، لنمسك به، ثم تقدم للإمساك بالحصان، وتبعه أيضاً لاف، فأمسكا معاً بالحصان وربطاه إلى شجرة قريبة، ثم قرأ

الإعلان الذي كان معلقاً على سرج الحصان، فانفجرا بالضحك.

....

❖ وبعد قليل وصل جنود راما يبحثون عن الحصان، ولما شاهدوه مربوطاً إلى شجرة، غضبوا غضباً شديداً، ولكن ظلوا صامتين لأنهم اعتبروا أن التوأمين مجرد أطفال فلم يعبروا عن غضبهم بأي طريقة، وقال أحد الجنود:

أيها الفتيان، هذا الحصان ليس ملككما، وأنتما ولدين طيبين، فاتركاه، إنه حصاننا، يبدو أنكما من أبوين شريفين.

فأجاب كوش:

- ولماذا، أقرأ الإعلان بأنفسكم، وإذا كنتم تريدون الحصان فاستعدوا للقتال، فإذا ربحتم أخذتم الحصان، فإن لم يكن لديكم استعداد لهذا، تعودوا إلى ملككم.

فنصحهم الجنود قائلين:

- أيها الفتيان، لا زلتم صغاراً. فالقتال معكم لا يكون منصفاً، وكونا عاقلين وأعيدوا لنا الحصان.

فأجاب كوش:

- ألا تخجلوا من هذا؟ أليس من الخزي أن تصبحوا كالشحاذين فتتوسلوا إلينا من أجل إعادة الحصان، أليس هذا عاراً على المحارب؟

....

❖ ولما وجد الجنود أن الصبيين عنيدين ويتحديانهم، اجتمعوا معاً

في غضب، ثم تقدموا نحوهما لقتلهما.

ولما شاهد لاف هذا، أطلق السهام التي أخترقت أجساد الكثيرين منهم، فتساقطوا واحداً إثر واحد، أما الآخرون فقد فرّوا هاربين وعادوا إلى شاتروجهنا الذي سألهم في دهشة:

- لماذا تبدون خائفين هكذا، وماذا حدث؟ أين الحصان؟

أجاب الجنود:

- لقد أمسك به صبيّان من الغابة وربطاه إلى شجرة، وقد قتلا كثيراً من جنودنا بسهامهم، وها نحن عدنا لنخبرك بأن هذين الصبيين من المقاتلين الشجعان.

فقال شاتروجهنا:

- تعالوا معي، أريد أن ارى هذين الولدين، وأرى مقدار شجاعتهما، ثم توجه إلى المكان الذي ربط عنده الحصان.

....

(١١)

Lav and Kusk

حكاية لافا وكوش

(القسم الأول)

❖ عندما رأى شاتروجهنا Shtrughna " كلا من لاف وكوش، أشفق عليهما، ونصحهما بقوله:

- أطفالي! عودا إلى بيتكما.. اتركا النزاع والغضب، وسوف أكون ممتناً لكما.

فسأله التوأمان:

- أيها الملك، من أنت وأين توجد عاصمتك؟ ولماذا تتجول في الغابات مع جيشك، ولماذا تركت هذا الحصان ولماذا علق عليه هذا الإعلان؟

فحكى شاتروجهنا للتوأمين حكاية الفروض الدينية yajna والحصان، ولما سمع لاف هذا قال:

- إن كنت خائفاً من القتال معنا ، فاترك لنا هذا الحصان وعد إلى عاصمتك.

فأثارت هذه العبارة غضب شاتروجهنا ، ورفع قوسه وسهامه ليقتل كلا الأخين.

ولكن قبل أن يفعل أي شيء، قام الشقيقان برمي السهام المتتالية على عربته فكسرت وتحطمت.

....

❖ لما رأى شاتروجهنا أن عربته قد تحطمت زاد غضبه وبدأ برمي السهام على لاف وكوش، وأمر رجاله بمساعدته في القتال أيضاً لكن التوأمين صمدا في القتال بشجاعة.

وقال لاف موجهاً حديثه لكوش:

- أخي! إن ملكاً شجاعاً يتحدانا ، ربما كان لا يعلم أن الكلاب التي تنبح لا تعض.

فأجاب كوش:

- انتظر قليلاً! سألقنه درساً.

ثم صوب نحو شاتروجهنا وابلاً من السهام فاخترقت جسد شاتروجهنا ، وسقط على الأرض متأثراً بجروحه العديدة، ثم عادا إلى المقاتلين الآخرين وقتلوا معظمهم، وهرب البعض اللذين لم يجرؤوا على مواجهتهما.

....

❖ وصل الجنود الفارون إلى بلاط "راما" وأخبروه بكل شيء عن

التوأمين، فدهش لسماعه هذا الحديث عنهما، واستدعى لاكشمانا وقال له:

- أيها الشقيق! توجه على رأس جيش قوي وأحضر لي هذين الصبيين، ولكن كن حذراً ولا تقتلهما لأنهما ابنا أحد النساك.

قال لاكشمانا:

أجل أيها الشقيق!.

ثم أنحنى لراما الذي باركه، وما لبث لاكشمانا ان قال:

- " سوف أحاول جهدي ألا أقتلهما، لكنني أشك في أنهما حقاً ابنا احد النساك، فهل سمع أحد عن ابن لأحد النساك يستطيع مقاتلة جيش ملك قوي؟

....

❖ ولما سمع أحد الجنود الفارين كلام لاكشمانا، قال:

- إن شكك لا محل له أيها الأمر، فهما شديدا الشبه بأبناء النساك، لكنهما في الوقت نفسه أكثر المحاربين خطورة في ساحة القتال، إن سهامهما قتالة لأولئك الذين يتعرضون لها، فلابد أنهما نماذج لإله الموت نفسه.

أجاب لاكشمانا بدهشة:

- إذا كان كلامك صحيح فلابد أنها معجزة بالفعل، فنحن لم نلتق بمثل هؤلاء المحاربين حتى عندما واجهنا العفاريت.

فقال راما للاكشمانا:

- لاتضع وقتاً يا لاكشمانا، اذهب وأحضرهما إلى مجلسي، لنرى

مقدار شجاعتهما.

فاستأذن لاكشمانا من رام وتوجه إلى ساحة القتال مع جيش قوي.

....

❖ وبعد قليل من الزمن وصل لاكشمانا إلى المكان الذي جرح فيه شاتروجهنا وكان يرقد فاقداً الوعي، ولما رأى لاكشمانا شقيقه جريحاً ثار غاضباً، لكنه عندما رأى الوجهان البريئين للصبيين لاف وكوش تلاشى غضبه وقال لهما:

- أطفالي، اتركوا هذا الحصان وانصرفوا إلى بيتكما، إن مملكتنا راجهفانشا **Raghvansha** تقدر البراهمة والنساك تقديراً كبيراً.

وعندما سمع الأخوان هذا الكلام، انفجرا بالضحك وقالا:

- يبدو أنك أنت الذي تركت سيتا في الغابة منذ بضعة سنين، هل تجرؤ على قتالنا؟ من الأفضل لك أن تعود إلى أيودهيا لئلا يكون مصيرك كمصير شقيقك.

لكن لاكشمانا هذه المرة غضب جداً وقال:

- لست على استعداد لقتالكما أيها الطفلان! فاطلبا من يساندكما في قتالكما.

❖ مُساعد! إنك أنت الذي تحتاج إلى مساعد، أرسل في طلب أحد يأخذك بعيداً عندما نخرق جسدك بالسهام.

وبعد ذلك أطلق كوش سهماً مخيفاً على لاكشمانا وتدحرج تاجه في الهواء إلى مسافة بعيدة.

وهنا بلغ غضب لاكشمانا أوجه، فأخذ يطلق السهام على الشقيقين، لكنهما كانا أكثر مهارة منه في الرماية، فكانا يطلقان السهام بطريقة تطيح بسهام لاكشمانا، فأخذت هذه السهام تتساقط على الأرض بعيداً، وكانت المعركة مخيفة جداً، حتى أن الأرض كانت ترتعد أما السهام التي كانت تلقى فكانت تنطلق مرعدة كالسحب.

ووجد كوش أن الفرصة سانحة لتسديد ضربة قوية للاكشمانا، فترنح لاكشمانا واضطرب وأحس بأن الصبيين تحدياه.

....

❖ وتذكر لاكشمانا شقيقه راما، واستجمع شجاعته وأطلق سهماً على كوش، فجرح وسقط على الأرض فاقد الوعي، ولما رأى لاف شقيقه كوش يسقط، اضطرب، ووضع قوسه وسهامه على الأرض، وحاول أن يوقظ أخاه، فتذكر الناسك فالميكي وحرك يده علىوجه كوش الذي نهض حالاً وقال للاكشمانا:

إنك بالفعل تبدو كمحارب.

ولما رأى لاكشمانا أن كوش قد نهض، استعد مرة أخرى للقتال وبدأ باطلاق السهام التي كان قد استعملها ضد ميجهانادا وغيره من المحاربين الأشداء بلانكا، لكن لاف وكوش تمكنا من تعطيل هذه السهام قبل أن تصل.

....

❖ شعر لاكشمانا بالاضطراب، وكانت الاشارة إلى ترك سيتا

وحدها في الغابة ذهبت بشجاعته، رغم أنه كان يبدو كالعادة محارباً.

وعاد لاف لاستعمال قوسه فوضع عليهما السهم الذي أعطاه له الناسك فالميكي بعد أن وضع فيه قوة ذات تأثير خارق، ولم يكن بإمكان أي شخص أن ينجو من هذا السهم إذا أصابه، فلما وصل السهم للاكشمانا أصابه في الحال ووقع على الأرض فاقداً للوعي.

وهنا بدأ جيش لاكشمانا في التخاذل، وهرب معظم الجنود خائفين، بعد أن فشلوا في مواجهة السهام التي كانت تطلق من أيدي الصبيين عليهم.

ولما وصلوا إلى آيودهيا أخبروا راما بما أصاب لاكشمانا.

❖ أرسل راما في طلب بهاراتا **Bharata** وأخبره بكامل الحكاية، فقال بشجاعة:

- أخي العزيز! أعتقد أن هذا حدث بسبب الظلم الذي حل بزوجة أخي العزيزة سيتا عندما طردتها من القصر!

وعندما سمع راما هذا الكلام أصيب بالوجوم ولم يجب بشيء، لكنه قال بعد قليل:

- يبدو أنك يا بهارات تخشى من الذهاب إلى ساحة القتال، حسناً، جهز جيشي المؤلف من الفرسان والفيلة، فسوف أذهب بنفسي لمواجهة صبية الغابة، ويبدو أنهما كرافانا. وخجل بهاراتا جداً عندما سمع هذا الكلام وقال:

- أرجو معذرتك أيها الشقيق العزيز، لا حاجة بك إلى هذا، فسوف

أتجه بنفسي إلى ساحة الحرب.

فوافق راما وقال:

- حسناً، خُذ هانومانا وغيره من المقاتلين في جيش الفانارا واتجهوا إلى ساحة القتال.

....

❖ فأرسل بهاراتا يطلب هانومانا **Hanumana** ونقل إليه أمر راما فقال:

- أيها الأخ، جهز جيش الفانارا **Vanara** لخوض معركة لاف وكوش، وسوف أستعد أنا أيضاً.

- بالتأكيد أيها الصديق، سوف أقوم بالواجب حالاً.

وجمع هانومانا جيشه، وبعد احضار جامفانت، سوجريفا **Sygreeva Jamvant**، دويفيد**Dwivid**، ما ياند **Mayand** وأنجاد **Angad** معه أعلم بهاراتا بوصولهم.

وكان بهاراتا قد تهيأ أيضاً، فتوجه إلى حيث كان جيش الفانارا، ثم أستأذن راما واتجه إلى ساحة المعركة على رأس جيشه.

....

❖ ولما شاهد لاف جيشاً كبيراً متجهاً إلى مساحة القتال قال لكوش:

- أيها الشقيق! إن جيش راما قادم إلينا، ويقال إن هذا الجيش قد هزم جيش العفاريت في لانكا، وسوف نتمكن من هزيمته.

- إنها فكرة مدهشة حقاً، فليواجهنا جيش الفانارا ، واستعد الشقيقان فجهزا أقواسهما وسهامهما.

وبمجرد وصول جيش بهاراتا إلى ساحة المعركة، وبدأ الشقيقان يمطران جيش الفانارا بوابل سهمامهما ، فجرحوا كل قواد الجيش وسقط معظمهم.

ولما أدرك بهاراتا ذلك، احتار في أمره، بل إن هانومانا نفسه أخذ يثني على الصبيين ومهارتهما في الرماية بالإضافة إلى شجاعتهما.

....

❖ وعندما وجد بهاراتا أن جيشه قد هزم قال لهانومانا:

أنني أشفق على هذين الصبيين الرقيقين، ولا أستطيع أن أهاجمهما ، لذلك فإنني أطلب منك أن تذهب وتحضرهما إلى هنا.

فتقدم هانومانا بصولجانه وأخذ يحارب لاف وكوش.

لكنهما تمكنا من هزمه،ولم يستفد من كل مهارته في القتال،فشعر بعجزه أمامهما.

لكن بهاراتا غضب غضباً شديداً ، وأطلق سهماً مخيفاً على لاف الذي سقط فاقد الوعي، ولما شاهد كوش هذا لم يستطع أن يتحمل رؤية شقيقه بهذه الحالة فأطلق سهماً على بهاراتا ، فأصابه في صدره وأفقده الوعي.

ثم استدار كوش نحو أخيه لاف، فسحب السهم من جسده وضمد جراحه، واستطاع بذلك لاف أن يعود للقتال من جديد.

....

❖ عندما وصلت أنباء سقوط بهاراتا وهزيمة جيش راما إلى آيودهيا، شعر راما بأن ضربة قوية قد وجهت له، فجهز جيشاً واتجه به إلى ساحة المعركة بسرعة الريح، ووصل بعد قليل إلى حيث كان الأشقاء الثلاثة فاقدي الوعي ومصابين، ولما رأى هانومانا، سيده راما حاكم آيودهيا قادماً بنفسه وقف أمامه ماداً يديه.

....

❖ لم يستطع رام أن يمنع نفسه من التأثر العميق لدى رؤيته وجها الصبيين فطلب أن يمثلا أمامه وقال لهما:

من أنتما، ومن هو والدكما ومن هي أمكما؟ أنتما حقاً من المحاربين العظماء، إنني أثني على مهارتكما في القتال التي بواسطتها استطعتما الفوز على كل جنودي ومحاربي.فقال التوأمان لدى سماعهما هذا الكلام:

- لا تحاول أن تلهينا بمعسول الكلام، فسوف تعرف كل شيء عندما نوصلك إلى أرض الأموات فكن مستعداً للقتال.

كلا، أيها الأعزاء، لن أطلق سهماً واحداً عليكما حتى أعرف ما هو اسم كل منكما ومن أي سلالة أنتما فإذا كنتما حقاً تشتاقان إلى معركة ضدي، قدما لي تعريفاً كاملاً عنكما.

فقال التوأمان:

- إذن فاسمع، إن والدتنا هي فانديفي **Vandevi** أميرة ميثيلا **Mithila**، وقد ربانا الناسك فالميكي **Valmiki** وأشرف على

تعليمنا، لكننا لا نعرف من هو والدنا وماهي اسرته.

....

❖ عندما أدرك راما أن التوأمين هما ولداه الحقيقيان، شعر بسعادة غامرة لكنه لم يظهر هذا، عندئذ قال لاف:

يا جلالة الملك، لقد عرفناك باسمينا، فارفع قوسك واستعد لقتالنا وإلا فعد إلى بلدك تاركاً لنا هذا الحصان الجميل، فنحن لا نهاجم جيشاً يترك الميدان.

وهنا غضب راما غضباً شديداً ورفع قوسه وسهامه وبدأ قتال عنيف بين الطرفين، لكن لاف وكوش تمكنا من تعطيل فعل السهام فقد كانا يقطعانها إلى نصفين قبل أن تصل إلى هدفها، لكن راما لم يصوب على الولدين السهام.

فدهش الولدان لذلك، لكنهما استمرا في القتال وظلا يصوبان السهام نحو راما. بتعطيل سهامهما.

لكن راما كان يرد عليهما وهو جالس في عربته، ودهش الجنود لأنهم وجدوا أنه لا يهاجم الولدين.

....

❖ أما هانومانا، فعندما رأى أن راما لا يهاجم صبية الغابة فقد صبره عاد إلى ساحة القتال بقوة حاملاً صولجانه.

وغضب كوش عندما رآه فقال له:

- ها، قد عدت ثانية!، ولكن هذه المرة سوف أقوم بمصارعتك، وعندئذ، جرى صراع بين كوشي وهانومانا، وانتصر كوش بعد

وقت قليل على هانومانا، وقيد يديه وقدميه، ثم سأل أخاه لاف:

- لنأخذه إلى والدتنا فانديفي، سوف تكون سعيدة جداً إذا رأته.

وهكذا حمل الشقيقان هانومانا إلى بيتهما.

....

❖ ترك لاف وكوش هانومانا خارج البيت ثم دخلا وقالا لوالدتهما بفرح:

- لقد أحضرنا لك لعبة طريفة.

فسألتهما فانديفي:

- وأين هي؟

فأحضرا هانومانا وقدماه إلى والدتهما.

لكن فانديفي أحست بالخوف أما هانومانا فقد أنحنى أمامها ثم قال:

- لقد أمسك ولداك بالحصان أشفاميدا **ashvamedha** مما أدى إلى نشوب معركة، وقد أصابا كلاً من شاتروجهنا ولاكشمانا وبهاراتا وهم الآن فاقدي الوعي أيضاً، والآن وصل راما بنفسه ليدير المعركة.

....

❖ ولما سمعت فانديفي هذا الظلام ارتعشت واضطربت وأمرت ولداها بفك قيود هانومانا،فلما شاهدا والدتهما غاضبة أطلقا في الحال سراح هانومانا وركضا مسرعين.

أما سيتا فأسرعت إلى الناسك فالميكي فوجدت ولداها عنده،

وكانا يرويان قصتهما وكل شيء عن المعركة، فقالت بصوت مرتعش:

- يا لها من حادثة غير طبيعية، أيها الأب الناسك! هل يعقل أن تدور معركة بين أب وولديه.

فقال الناسك يواسيها:

- إنني أعلم كل شيء يا أبنتي، ولكن لماذا انت قلقة؟ سوف يصبح كل شيء على ما يرام عما قليل.

قالت فانديفي:

وكيف؟ لقد أثبت الولدان أنهما وصمة عار لأسرتهما؟

....

❖ قال الناسك:

- إنهما لم يقترفا أي خطأ يا ابنتي، وقلقك في غير محله، فقد فعلا ما يلائم أمراء كشاتريا **Kshatriya**، وهما ابنا ملك قوي عظيم قد حرر الأرض من الأشرار وأنقذك من براثن رافانا، لكن سيتا أجابت بقولها:

لقد حطم راما المخطئين والأشرار وهكذا جلب لأسرته أكليل الغار، لكن هذين الولدين قد قتلا أهلهما وهذا ما جلب الخزي والعار لأسرة راجهو **Raghu**.

فواساها الناسك فالميكي قائلاً:

- كلا يا ابنتي، إنهما أيضاً قد جلبا لأسرتهما! أكليل غار، وسوف تفهمين هذا فيما بعد.

ثم طلب منها فاليكي أن تدخل البيت وقال:

- أنا سأزور بنفسي ساحة المعركة في الغد.

وارتاحت فانديفي نفسياً لدى سماعها كلام الناسك، ودخلت بيتهما مع ابنيها لاف وكوش.

....

❖ وفي اليوم التالي وصل لاف وكوش إلى ساحة المعركة مرة أخرى وبدأت المعركة كالعادة.

وقال لاف لراما:

- إذا كنت تخشى مهاجمتنا، يا ملك آيودهيا، فيجب أن تترك هذا الحصان هنا وتعود إلى عاصمتك، فلماذا أنت مسرع للموت؟

لكن راما ابتسم وقال:

- أنتما لازلتما من الأطفال، ومثل هذا الكلام لا يناسبكما لذلك أرجو أن تتبعا نصيحتي وتعودا إلى البيت، وهذا سيكون لفائدتنا جميعاً.

فقال لاف وكوش:

- إن الهرب من ساحة القتال ربما كان مفيداً لك،لكننا مقاتلان،والمقاتلون إما أن يهزموا أعداءهم أو يسقطوا في ساحة القتال بشرف،فهم لا يختارون أبداً الفرار من المعركة.

ثم عادا لرمي السهام على راما مرة أخرى.

لكن راما لم يضربهما بالمقابل، بل إنه حاول فقط تعطيل سهامهما كي لا تصيبه.

❖ استمرت المعركة فترة طويلة، لكن راما فقد صبره، ووضع سهمه اللامرئي في قوسه وقال:

- لا شك أنكما متكبران وفظّان، فإذا كان الإله يريد لكما أن تموتا بسبب سهامي فماذا يمكن أن أصنع؟

وبعد أن قال راما هذه العبارة سحب قوسه واستعد لرميهما بالسهم. وفي تلك اللحظة وصل صوت الناسك فالميكي إلى أذني راما فقد كان يقول:

- انتظر! انتظر! يا سيدي، وإلا فسوف تحدث المصيبة الكبرى.

ولما سمع راما هذا الكلام توقف عن إطلاق السهم، أما الناسك فقد أسرع إلى حيث كان راما وقال: أيها الملك، أوقف هذه المعركة، فهي لا تفيد أحداً.

- ولماذا أيها الناسك العظيم؟

ونزل راما من عربته.

....

❖ ثم لمس راما قدمي الناسك الذي باركه ثم قال:

- هذان الولدان هما ولداك، فكيف يقاتل الأب أبناءه؟ فتساءل راما، كما لوكان يجهل كل شيء:

- ماذا! هما ولداي!.

قال الناسك:

- نعم، يا جلالة الملك، ثم حكى الحكاية كلها منذ أن تُركت سيتا في الغابة وكان لاكشمانا هو الذي صحبها إلى الغابة

وتركها هناك، كذلك حكى الناسك قصة مولد التوأمين في معبده، ثم قال:

- هذان الولدان تجري في عروقهما دماؤك، ولذلك فهما مثلك قويان وعظيمان، اعذرني واحضنها بعطف ومحبة.

....

❖ واستدعى الناسك فالميكي كُلاً من لاف وكوش وقدمهما لراما قائلاً:

- ها هو والدكما راما، اذهبا إلمسا قدميه، واطلبا منه أن يعفو عنكما.

فانحنى الولدان أمام راما كما قال لهما الناسك وطلبا منه أن يعفو عنهما، وباركهما راما ثم عانقهما بمودة وحنان، أما هما فقد فرحا كثيراً لرؤية والدهما القوي أمامهما.

وسرّ الناسك بهذا اللقاء بين الأب وابنيه، وقام برش الماء المقدس على كل من بهاراتا ولاكشمانا وشاتروجهنا الذين كانوا يرقدون فاقدي الوعي، فاستيقظوا ونهضوا ثم أنحنوا أمام راما، لكنهم أصيبوا بالدهشة عندما رأوا التوأمين جالسين في حضن راما.

....

(١٢)

حكاية لافا وكوش

(القسم الثاني)

❖ عندما كان الناسك فالميكي يتحدث عن لاف وكوش، وصلت سيتا، فلما رآها الإخوة بهاراتا ولاكشمان وشاتروجهنا انحنوا لها، وفرحوا كثيراً برؤيتها، كذلك فقد فرح راما برؤيتها لكنه تظاهر بالهدوء.

ولاحظ هذا الناسك فالميكي فقال:

ـ يا سليل أسرة راجو **Raghu** العظيم! أنا الأبن العاشر لفارونا **Varuna** إله الماء، لم أرو في حياتي قصة كاذبة، وأقسم لك بأن سيتا زوجة طاهرة و فاضلة، وابناها لاف وكوش هما ابناك منها، وقد أرسلتها إلى الغابة خوفاً على صيتك، لقد عشت حياتي في التأمل ألافاً من السنين، وإنني أعلن بأن الله يجعل كل تأملاتي بلا ثواب أن كان كلامي عن سيتا خاطئاً.

❖ قال الناسك فالميكي لسيتا ليؤكد ما قاله لراما عن إخلاص سيتا:

- إنك حقاً عظيمة يا ابنتي، وأنت لم تفكري أبداً في شخص آخر غير رام زوجك، ولم ترتكبي في حياتك أي خطيئة، وكنت تعتبرين زوجك على الدوام كإله في نظرك، وقد علمت هذا بفضل قوتي الإلهية التي منحني إياها الله، فإنني أنصحك بمرافقة زوجك رام إلى أيودهيا حيث تعيشا حياتكما بسرور، وليبارك الله لكما في ولديكما.

ولما سمعت سيتا هذا الكلام، تاقت للذهاب إلى آيودهيا لكن صمت راما في هذه اللحظة هزّها وكانت مجبرة على تغيير تفكيرها في هذا.

....

❖ وردّ راما على إقتراح الناسك بأن قال:

- إن كلامك عن سيتا لم يترك مجالاً للشكّ في إخلاص سيتا وطهارتها، وقد كنت مقتنعاً بهذا نظراً للمحنة التي مرت بها وعانت منها من قبل، لكن إشاعة كاذبة حولها أجبرتني فيما بعد أن أطلب من أخي لاكشمانا تركها في الغابة، وأرجو منك أيها الناسك المحترم أن تعفوا عني لهذه الغلطة.

ثم طلب راما من لاكشمانا أن يأتي، ثم طلب منه أن يقنع سيتا بالذهاب معهما إلى آيودهيا فقال:

- أخي! أرجو أن تقنع سيتا بأن ترافقني إلى آيودهيا مع ولدينا،

وهذه مهمة أخرى عليك القيام بها أيضاً.

وهكذا اقترب لاكشمانا من سيتا وتحدث اليها قائلاً:

- أرجو منك أن تنسي كل شيء وترافقينا إلى آيودهيا.

لكن سيتا لم توافق على ذلك.

....

❖ على أن سيتا أجبرت بعد ذلك بناءً على رغبة الجميع، بالذهاب معهم إلى ضفة نهر ساريو Saryu، حيث توقفت فترة من الوقت، وتوسلت إلى الأم الأرض.

- أيتها الأرض الأم! إن كل الاتجاهات العشر سوف تكون شاهدة عن الحقيقة، وهي أنني لم أفكر أبداً إلاّ في زوجي رام.

فان كان كلامي صحيحاً، أرجو أيتها الأم أن تقبليني في حضنك.

وإذا كنت أتوق إلى زوجي فقط فدعيني ألتجأ إليك، وارجو منك أن تحدثي شرخاً فيك وتضميني بين أحضانك.

وبعد هذا بدأت الأرض تتحرك وظهر ضوء ثم بدأت السحب ترعد بعنف وقوة، وكان المنظر يبدو كما لو أن طوفاناً قد بدأ.

....

❖ وفجأة ظهر شق في الأرض وانبثق منها ضوء إلهي، وسرعان ما ظهرت الهة الأرض، وكان الضوء الإلهي ينبثق من الفجوة، وأخذت الإلهة سيتا في حضنها فانزلقت سيتا في داخل الفجوة.

ولما شاهد الناس في آيودهيا ما حدث، أخذوا يبكون في مرارة، أما الأخوة بهاراتا، لاكشمانا وشاتروجهنا فقد أخذوا يذرفون

الدموع، وتحدث كل الموجودين بصوت واحد:

يا سيتا الجليلة! إن هذه الأرض لم تنجب سيدة مثالية مثلك.

وصدم راما وأصيب بالدهشة ووقف كالأبكم وهو يرى زوجته تنزل إلى قلب الأرض، وظل يحملق فيها فترة طويلة.

....

❖ أما ولدا راما فقد أنزعجا جداً لما حدث، ولم يستطع راما أن يتحمل فانسابت سيول من الدمع من عينيه، ووقف فاغر الفم مدة طويلة ثم تحدث إلى الهة الأرض فقال:

- أيتها الأم! أعيدي لي زوجتي سيتا أو خذيني في حضنك أيضاً، فأنا لا أستطيع أن أعيش بدونها، ووجودها معي ضروري حتى لوكان في الجحيم، أرجو أن تنفذي رغبتي وإلا فإنني سأقوم بتخريب كل الغابات والجبال بسهامي القوية، ولن أتردد في تحطيم كل شيء بل حتى أسبب حدوث الفيضان.

وفجأة سُمع صوت إلهي يقول:

- دع عنك كل الأحزان يا راما! فسيتا ستكون معك دائماً، فقد وصلت زوجتك إلى السماء من خلال القوة التي اكتسبتها بالتأمل، والسماء هي مكانكما الأبدي، وسوف تراها هناك الآن حالاً.

....

❖ حين سمع راما الكلمات الإلهية هدأت نفسه قليلاً، ثم طلب لاكشمانا وقال له:

- سأتجه إلى آيودهيا، وحدي مع ولداي لاف وكوش، حتى انتهي

من الفروض الدينية Yajna بشكل صحيح، ويجب أن تذهب إلى هناك مع كل الناس.

وتوجه بعد ذلك راما مع ابنيه إلى آيودهيا.

وفي اليوم التالي اتجه لاكشمانا أيضاً مع شقيقه، وجنود الفانارا، وكان الجميع حزانى على أختفاء سيتا وغيابها.

لكن الناسك فالميكي خطب فيهم ووعظهم قائلاً:

- ليكن ما يكون، فالندم على ما حدث ليس له فائدة.

....

❖ لما وصل راما إلى آيودهيا مع ولديه قام بإتمام الفروض الدينية ثم استقبل كل المدعوين وودعهم وأعطاهم هدايا قيمة، وقدمت لكل البراهمة والنساك الهدايا والمنح الذين باركوا بدورهم راما وابنيه.

ثم وصل راما مع ابنيه إلى قصره، رغم أنه كان كل الوقت دائم التفكير في زوجته المحببة سيتا.

وفرح شعب آيودهيا بقدوم الأميرين، ودامت البهجة عدة أيام.

....

❖ وباكتمال الطقوس الدينية Yajna أصبح راما امبراطوراً قوياً، وحكم كامبراطوز مثالي وفقاً للمعتقدات الدينية، وكان الإله نفسه راضياً عن كل ما يحدث، فكانت الأمطار تهطل في مواعيدها، وازدهرت المحاصيل أيضاً، ولم يسمع بأي كارثة أو مصيبة، وعاش الناس في سلام وأمان.

وذات يوم، كان راما ينظر في المرآة، وكان منظر وجهه جعله ينقلب على الحياة الدنيوية، ففكر في ترك هذا العالم والعودة إلى مكانه الدائم في السماء.

فترك حكم أجزاء كثيرة من أمبراطوريته لكل من لاف وكوش، ولأبناء إخوته.

....

❖ ودعا الإله فيشنو الذي تجسد مثل راما الناسك نارادا وقال له:

- يا نارادا! لقد انتهيت مهمتي على الأرض، وأنا لن أعيش كراما بعد اليوم، فأرسل لي إله الموت. وبعد قليل عاد نارادا مصحوباً بإله الموت.

فقال فارادا له:

- إن حياة راما على الأرض قد انتهت، فخذه إلى السماء في الحال.

وهكذا أرسل إله الموت ليحضر راما.

....

❖ وعد إله الموت بأن يطيع فيشنو، ولكنه أثناء الطريق فكر في هدوء ثم توصل إلى رأي، فقال في نفسه:

كيف أقول لشخص مثالي كراما أن أيامه على الأرض قد انتهت، وأنه يجب أن يترك هذا العالم.

وبعد ذلك ذُكر بقانون الطبيعة الذي يقول بأن من يولد يجب أن يموت يوماً ما، وهكذا وصل آيودهيا صفر اليدين، ولما وصل قرب المدينة حول نفسه إلى شخص من البراهمة ودخل المدينة.

ولما وصل إلى القصر الملكي تبين له أن لاكشمانا جالس عند بوابة قصر راما فسأله أن يذهب ويخبر راما بوصوله، وعندما علم راما بوصول إله الموت، أسرع إلى بوابة قصره لكي يستقبله، ثم أستقبله بترحيب كبير.

....

❖ وقدم له راما مقعداً ثم قال له: ماذا أصنع من أجلك يا سيدي؟

فقال إله الموت الذي كان متنكراً بزي براهمي:

- أنا لست برهميا يا راما! ولكنني في الحقيقة إله الموت، وقد أرسلني فيشنو إليك وأريد أن أتحدث معك على أنفراد، ولا يحق لأحد غيرنا أن يكون حاضراً، وإذا سمع أحد حديثنا فسوف يموت حالاً، بل حتى لوحصل هذا الخطأ من فيشنو أو براهما أو ماهش فلن ينجو من العقاب.

فقال راما:

لا تقلق يا سيدي، سوف أطلب من لاكشمانا أن يحرس الباب بنفسه، ولن يسمح لأحد بالدخول. ثم غادر راما الغرفة بعد ذلك.

....

❖ اتجه راما إلى لاكشمانا وهو مسرور من كلمات إله الموت وقال:

سوف اتحدث حول أمر هام جداً مع البرهمي الذي وصل حالاً، ويجب أن تحرس الباب بنفسك، فلا تدع احداً يدخل على الإطلاق دون إذني، فإذا عصيت هذه الأوامر، ستكون مذنباً، وتعاقب

بالموت.

ووعد لاكشمانا شقيقه راما بأن ينفذ أوامره ويقف على الباب أثناء حديث راما مع البرهمي، لكنه قال لنفسه:

- يبدو ان مزاج شقيقي اليوم هادئ.

وأغلق راما الباب من الداخل تاركاً لاكشمانا واقفاً خلفه يحرسه.

....

❖ ولكن ما سيحدث سيكون، ولن يغيره أحد بأي طريقة أو بأي وقت، وفي تلك اللحظة بالذات ظهر الناسك دورفاسا **Durvasa**، فلما رآه لاكشمانا انحنى له، وكسب بركته، فقال الناسك:

أين شقيقك راما يا لاكشمانا؟أريد أن أراه الآن دون تأخير، أخبره بأنني قد وصلت.

فأجاب لاكشمانا:

- أرجو المعذرة، ايها الناسك الموقر، فإن شقيقي لديه اجتماع ويناقش حالياً مسألة على جانب كبير من الأهمية، ولذلك فلا يمكنني الدخول إلى الغرفة التي يجتمع فيها، والأفضل أن تنتظر قليلاً!

لكن الناسك غضب جداً وقال:

- دعني أدخل وإلا! فإنني سوف أفني كل شيء أنتم ومدينتكم ومملكتكم أيضاً.

....

❖ فارتعش لاكشمانا واضطرب عندما سمع كلام الناسك دورفاسا فقد كان يعرف تماماً معنى غضب الناسك، ومع ذلك فلم يستطع تجاهل واجبه، فتحدث إلى الناسك بجدية وقال:

- إنني متقيد بأوامر أخي الأكبر، ولهذا لا أستطيع السماح لك بالدخول دون أخذ الإذن منه.

فقال الناسك دورفاسا:

- يبدو أن أيامك قد أصبحت معدودة، ولهذا فإنك تشجعت على عصيان أوامري، وإنني ألعنك فيجب أن تموت هنا والآن تصل إلى السماء.

وبعد ذلك تقدم الناسك باتجاه الغرفة التي كان يجلس فيها راما ويتحدث إلى ضيفه.

....

❖ ودق الناسك على الباب ففتح له راما، وعندما رآه دهش جداً ،وحياه باحترام فائق ثم قدم له مقعداً ليجلس، وقدم له أيضاً وجبة فاخرة من الطعام وسأله بتواضع:

- أرجو أن تعذرني إذا سالتك عن كيفية دخولك، وهل منعك لاكشمانا من الدخول؟

- لقد منعني، لكنني دعوت عليه بالموت حالاً.

قال راما:

هذا ليس عملاً طيباً أيها الناسك، فقد أخطأت خطئاً كبيراً، فلا أحد يمكن أن يمنع ما سوف يحدث، فأرجو منك أ ، تترك

هذا المكان حالاً، إذ لا يجب أن تكشف ما يجري هنا.
وحين سمع دورفاسا كلام راما لم يجرؤ على البقاء في الغرفة أكثر من ذلك.

....

❖ أما لاكشمانا، فلما سمع لعنة الناسك دورفاسا قال لنفسه:
ـ من الأفضل أن أموت وحدي، فلماذا أتسبب في موت الآخرين.
وقام راما أيضاً بإبعاد لاكشمانا، لكن لاكشمانا لم يستطع تحمل ذلك فانسابت الدموع من عينه وغادر آيودهيا دون أن يزور قصره.
ووصل إلى ضفة نهر ساريو، فقدم الفروض وأختار لنفسه قبراً في الماء، لكن الآلهة "آندرا" **Andra** هبطت وأخذته بعربة سماوية. وحزن الإخوة الثلاثة على موت لاكشمانا وظلوا ينظرون إلى العربة التي أخذت لاكشمانا إلى السماء بعيداً عنهم.

....

❖ أما راما فقد أنصرف عن الأمور الدنيوية تماماً بعد موت أخيه لاكشمانا، فدعا إليه النساك فاسيستا وخطب في النبلاء ورجال البلاط قائلاً لهم:
ـ أريد أن أتنازل عن العرش لأخي العزيز بهاراتا وأغادر مدينة آيودهيا، فأعدّوا الترتيبات من أجل تتويج بهاراتا، فالوقت قصير جداً لأنني أريد أن ألحق بلاكشمانا وأذهب إلى حيث ذهب. لكن بهاراتا اضطرب جداً لدى سماعه كلام راما، وقال لأخيه متوسلاً:

- لكنني أيها الشقيق لا أطمح بالعرش ولست مستعداً ولا لاستقبال السماء في وجودك، ويجب أن أذهب معك، فأرجو أن تسمح لي بهذا.

وعندئذ أرسل راما رسولاً يستدعي شاتروجهنا وقال له:

اذهب إلى شاتروجنا وأخبره بخبر رحلتنا الأخيرة.

....

❖ ولما سمع الرسول أوامر راما، اندفع إلى شاتروجنا وعاد معه بسرعة، فلمس شاتروجنا قدمي راما وقال له بإلحاح:

- أيها الشقيق! لقد توجت ولديّ على العرش وقد صممت عى الألتحاق بك، فأرجو أن لا ترفض صحبتي، فالحياة هنا بدونك عقاب كبير لي، وأتمنى ألا تقول فرصة لأن تأتي لحظة أشعر فيها بانني مجبر على عصيانك.

....

❖ ولما رأى راما صلابة أخيه سمح له أيضاً بمرافقته، ثم استدعى هانومانا وقال له:

- أيها العزيز! لقد قررت أن تعيش حياة طويلة، ويجب أن تعيش سعيداً وتذكرني دائماً، ويجب أن تبقى على هذه الأرض لتروي قصتي.

وهكذا اتجه راما إلى نهر ساريو مع شقيقيه.

ووصل الناس في آيودهيا أيضاً إلى النهر عندما وصل إليه راما حاكمهم، وكان النهر في ذلك الوقت في فيضان.

فوقف راما عند ضفة النهر وتوسل إلى الإله شيفا، ثم تقدم نحو النهر متبوعاً بشقيقيه بهاراتا وشاتروجنا، وفي ذلك الوقت سمع صوت إلهي يقول:

إن عودتك مع شقيقيك ياراما إلى مسكنك الأبدي شيء طيب، ومرحباً بك معهما في أي شكل كان.

فابتسم راما عندما سمع هذا الصوت وأتخذ لنفسه قبراً في الماء مع شقيقه، أما الناس في آيودهيا فقد أخذوا يبكون بمرارة.

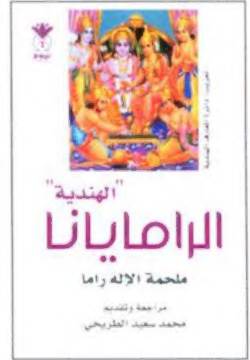
....

❖ أما "هانومانا "، فقد تخلد كنتيجة لبركات راما ونعمه، وهو يزور في كل يوم معبد جديد لراما ويتذكره دائماً. وقد شاهد الشاعر العظيم "تولسي داس " **Tulsi Das** " هانومانا في أحد المعابد على هيئة شخص مجذوم. وبهذا تنتهي اساطير الراماياانا أو قصة راما.

الفهرست

RAMAYANA

M.S.AL_TOURIHI



رامايانا هي أوديسة الهند، في تاريخ الأدب الأسطوري. ألفت حوالي القرن الثالث (ق.م) وهي أشهر أساطير الهند وأحبها إلى النفوس .. وتتناول حياة بطل اسمه راما، نفاه أبوه في غابة الشياطين حيث لقي من المصائب والأهوال ألواناً شتى.ونشب صراع بينه وبين رافنا ملك الشياطين الذي تمكن من خطف زوجته سيتا، فظلت تنتظر زوجها صابرة طاهرة لا تستسلم ليأس أبداً.

والهندوكي يعتبر رامايانا كتاباً مقدساً. ويعتبر راما صورة مجسدة للإله " فشنو".ولا يزال يتوجه إليه بالصلاة. وهو حين يقرأ الأسطورة، إنما يشعر بأنه يستمد من قراءتها سمواً دينياً، كما يستمد متعة أدبية وارتفاعاً خلقياً..إذ تطهّره هذه القراءة من أوزاره جميعاً وتجعله ينجب ولداً ولو كان عقيماً..

دائرة المعارف الهندية

